الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية

الثورة الجزائرية في شعر سليمان العيسى

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر

إعداد:
* **سعيفي سعيد**

إشراف:
* **أ. عزيزي مليكة**

لجنة المناقشة:

- أ/العوفي بوعلام.....	.....	.....	رئيسا
- أ/ عزيزي ملكية	جامعة البويرة		مشرفا ومقررا
-أ/رابحي عمرو	.....	.....	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2015/2014

شكـــــــر

أشكر الله وأحمده على نعمة علمه الذي أهدانا إياه، وما كنا لنهتدي لولا هدايته.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة عزيزي مليكة التي أشرفت على هذا البحث ولم تبخل عليا بالنصح والإرشاد.

كما أشكر جميع من ساهم من قريب أو من بعيد في خلق هذا المولود الجديد إلى دنيا العلم والتنوير فنعم المولى ونعم البصير.

إهـــــداء

إلى روح أمي الغالية رحمها الله

إلى التي حملتني في أحشائها تسعا من الشهور

إلى من سهرت الليالي وأعطتني الأماني

إليك يا أعز ما في الوجود أمي

تغمد الله روحك وأنعشك بنوره

إلى الذي أرادني أن أكون أحسن منه

إلى الذي أعطاني الحسن والموعظة

أبي أطال الله في عمرك

إلى إخوتي أعانهم الله ووفقهم

إلى كل من ساندني ووقف بجانبي

إلى كل الأهل والأقارب ...

أهدي هذا العمل.

مقدمة

مقدمة:

الثورة بدون لسان من الشعر يعبّر عنها ويشرح مبادئها هي ثورة بكماء وجذورها مجتثه لا تتعدى سطح الأرضية التي تنمو عليها ومن السهولة أن تتعرض للتشويه والتزييف وللإخفاق أيضا، لأنّها لم تتعمق بوجدان إنسانها ولم تمتزج بعقله وقلبه.

فهذه الثورة الجزائرية التي وقف الشعراء إلى جانبها مدافعين عنها بالكلمة المجلجلة سواء من أبناء الجزائر أو أبناء الأمة العربية مغربها ومشرقها.

فسليمان العيسى من سورية الشقيقة الذي كثيرا ما التزم بالدفاع عن قضايا أمته باسم العروبة المتوثبة، في تطلعاتها للمستقبل المنشود، معربا عن إخلاصه للجزائر وإعجابه بالثورة الجزائرية، وذلك من أجل إزكاء روح الحماسة في نفوس الشعب الجزائري.

من هنا وقع اختياري على موضوع الثورة الجزائرية عند سليمان العيسى كدراسة فنية في تناوله في شعره لهذه الثورة وماهي أهم الموضوعات التي تمحور حولها هذا الشعر؟ وماهي الخصائص الفنية لشعر الثورة الجزائرية في شعر سليمان العيسى؟

ولعلّ سائلا يسأل عن سبب اختياري لهذا الموضوع دون سواه من المواضيع فأجيب بأن الأمر يتعلق بشغفنا وارتباطنا روحيا بالثورة الجزائرية، لأنّها جزء من تاريخنا فالثورة تجري في عروقي مثل اللبن الذي رضعته من ثدي أمي وهي جزء لا يتجزأ من هذا القبيل فكانت مهدا للاستقلال والعيش الكريم.

وقد انتهجت في دراستي منهجا وصفيا تحليليا يتلاءم وموضوع البحث حيث خطوت فيه فصلين.

وقد عالجت في الفصل الأول مفهوم الثورة والالتزام ومدى تمحور الالتزام في الشعر العربي القديم والحديث وأثر الثورة الجزائرية عند أهمّ شعراء العرب، أما فيما يخص الفصل الثاني فقد خصصته في تعريف مجمل لحياة الشاعر سليمان العيسى وعلاقته بالثورة الجزائرية، وقدمت دراسة تطبيقية في شعره للثورة الجزائرية وصورته الشعرية في شعر الثورة الجزائرية وذلك تحليلا وتفسيرا.

الفصل الأول:

الثورة والالتزام

المبحث الأول: الشعر والالتزام

المبحث الثاني: الالتزام في الشعر العربي القديم والحديث

المبحث الثالث: أثر الثورة الجزائرية عند شعراء العرب

1-في الجزائر

2-في تونس

3-في المغرب

4-في ليبيا

5-في العراق

6-في مصر

7-في سوريا

المبحث الأول: الشعر والالتزام

1-تعريف الثورة:

أ-لغويا: جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس المفهوم اللغوي للثورة كالآتي: "ثار الشيء يثور ثورا وثورانا وثار فلان فلانا كان كل واحد منهما ثار إلى صاحبه، وثور فلان على فلان شرا أذاأظهره"[1].

ب-أما اصطلاحا: فإن الثورة هي رفض عنيف للواقع الأليم وإرادة صانعة لتفسير هذا الواقع إلى واقع أفضل منه وتكون الثورة تمرد على الواقع إلى واقع أفضل منه من خلال انحطاط القيم الإنسانية المنهارة والواجب استرجاعها عن طريق الثورة لجلب واسترجاعها لجلب واسترجاع تلك القيم مثل حرية التعبير والمعتقد وحرية تقرير المصير والعيش بكرامة[2].

ويرى ماركس أن الانجاز الايجابي للثورة إنما يبتدئ في الفترة السريعة للحاق بركب التطور.

ويرى مارتن أن الثورة هي عملية تعبير تشمل مجموع التركيب الاجتماعي، والتمرد والخنوع والامتثال كذلك عين بالثورة كل حركة اجتماعية ترفض من خلالها فئة ما السلطة السياسية القائمة والهيكل الاجتماعي الموجود وتحاول نفضها والقضاء عليها[3].

والثورة الجزائرية إحدى هذه الثورات التي قامت لتغيير الواقع في مختلف مجالات الحياة، والانتقال بالشعب من حالة العبودية والاستبداد إلى حياة الكرامة والاستقلال ومن حالة الفاجعة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1999، ج1، ص 202.
(2) المصدر نفسه.
(3) ياسين أحمد فاعور، الثورة في شعر محمود درويش، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط1، ص 67.

والمأساة إلى حالة يمتلك فيها المجتمع جميع الموارد والقدرات لتسخيرها لبناء نفسه بغية تحقيق العدالة والازدهار.

وكان ذلك أمل المجاهدين الذين قدموا أنفسهم رخيصة من أجل تحقيقها، وقد استطاعت الجزائر بعد تضحيات غالية وكفاح مرير انتزاع الحرية المسلوبة وبذلك أقبلت الجزائر على فجر جديد من كرامتها وشخصيتها.

أثرت ثورة نوفمبر في عدة نواحي ومن بينها الأدب وكان تأثيرها إذا قيس بالسنوات القليلة من عمر الإنسانية، ولعلّ أول تأثير لها يكمن في الأديب خالة الأدب وصانعه، فقد حررته من عقد الخوف وأزالت عنه ذلك الكابوس الذي اختلج في صدره منذ مدة طويلة ومنعه من البوح من مكبوتات نفسه وخلجات شعوره وهاهو يرق الحصار الذي كان مضروبا عليه والإرهاب الذي سلط عليه، وقد بدأ ينهار أمام دمدمة الرصاص ودوي القنابل، وهاهو الشعب بكامله يخوض معركة المصير ويخط بدمائه و كيف لا يتأثر الأديب لهذه الأحداث، وهو الإنسان المرهف الحس الحامد الشعور.

2-تعريف الالتزام:

أ-لغة: جاء في لسان العرب "لابن منظور" لزم لزوم معروف والفعل لزم يلزم والفاعل لازم والمفعول ملتزم والتزمه لزمه ولزوما ملازمة ولزما وألزمه إياه فالتزمه"[1].

" ورجل لزمه يلزم الشيء فلا يفارقه وإلزام الفيصل حدا و قوله عز وجل: ﴿لِزَامًا يَكُونُ فَسَوْفَ كَذَّبْتُمْ فَقَدْ دُعَاؤُكُمْ لَوْلَا رَبِّي بِكُمْ يَعْبَؤُا مَا قُلْ﴾[2].

والالتزام: الاعتناق، قال الكسائي "تقول سببه سبة تكون لزام تكون لزام، مثل قطاع أني لازمة"[3].

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ج 12، ط 1، 1997، ص 541.

(2) سورة الفرقان، الآية 77.

(3) محمد عزام، قضية الالتزام في الشعر العربي من العصر الجاهلي وفي عصر الانحطاط، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، ص 198.

ولا يختلف هذا المفهوم اللغوي للفظ الالتزام في المعاجم الأجنبية عنه في المعاجم العربية ومعجم "لاروس" تحت مادة ملتزم "التزم، ارتبط بوعد أو واجب والتزم، ارتبط باتفاق شفوي والتزم: دخل في حزب ما"[1].

ب-الالتزام اصطلاحا:

الالتزام في الأدب هو أن يبدي الأديب وجهة نظر معينة، أو قضايا محددة، وأن يدافع عنها بكل وعي وشعور بالمسؤولية. انطلاقا من مقوماته والوسط الإنساني والمجتمع والدين والتاريخ، فتنبثق في ذاته الجدارة والرؤية بما يحيط في عالمه الخارجي المرتبط بكيانه الإنساني.

أما مفهوم الالتزام بصورة عامة هو "أن يضع المرء تفكيره وقوته في خدمة قضية معينة سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أم أدبية والالتزام هو موقف معين سلبا أو إيجابا باتجاه أمر ما[2].

(1) المرجع نفسه، ص 198.

(2)المرجع نفسه، ص 20.

المبحث الثاني: الشعر والالتزام

إنّ الشاعر الحر أو الأديب المقنع هو الذي يتحمل مسؤولية التعبير عن وطنه، فقد ظهر هذا المصطلح في العصر الحديث وبالتالي حول منظور الشعر من مجرد أنه شعر مناسبات إلى شعر واع، ففي بعض الحالات أو المراحل المختلفة للحركات الثورية يصبح أقرب أشكال التعبير الأدبي وأنسبها وفي هذه الحالات يصبح العمل الشعري جزءا من العمل الثوري لا ينفصل عن حركات الجماهير الشعبية[1]. ومن هنا تتجلى حيوية العلاقة بين الشعر والواقع إذ أن الشعر الذي يكتفي بوصف مباهج الحياة وسكونها ولحظات هدوئها لا يستطيع الوصول إلىأعماقنا لأن الشعر وحي وثقافة، لذلك يصبح من واجب الشاعر أن يعالج مشاكله المحلية والإنسانية التي لا ترتبط بزمان ومكان سكونها ولحظات هدوئها. فأصبحت فكرة الالتزام ضرورية لكل شاعر، فلم يستمر إلى اليوم إلى الشعراء الذين جمعوا بين الثقافة والخبرة والذين عاشوا الحياة وتفهموها وتعمقوا فيها وجعلوا الواقع تجربة حية متطورة لا قوالب فكرية جامدة[2].

إنّنا نتوقع من القصيدة دائما إن تعبر عن موقفنا إزاء شيء بعينه أو تعدل عن هذا الموقف أو تثبت موقفا قد اتخذناه، ولا يحرج هذا الشاعر نفسه عن عمله الشعري إلى أكثر من هذه الغايات[3].

1-الالتزام في العصر الحديث:

ارتبط الالتزام في العصر الحالي بالقالب الثوري حين غدت الثورة منيرة هذا العصر الذي تتشابك فيه الظروف والمعتقدات والخطر الأصعب والحلم بالوطن العربي، فتقترن التوعية مع

(1) عز الدين إسماعيل، الشعر في إطار العصر النوري، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص85.
(2) المرجع نفسه، ص 15.
(3) المرجع نفسه، ص 337.

المقاومة، ويقترن الصراخ مع التنفيذ، إنّ الشعراء أصحاب التيار الثوري في الشعر الحديث يختارون معاناة حضارتنا في مختلف جوانبها السلبية والموجبة، الشعر رسالتهم الوحيدة وسلاحهم في المعركة.

إذا جاز لنا أن نتوسع في مفهوم كلمة الالتزام حسب ما ذهب إليه أغلبية النقاد، وهو أن يكون الأدب في خدمة المجتمع والأمة والإنسانية أولا والذات، فإننا لن نبعد عن الصواب إذ نحن زعمنا بأن الشعر الجزائري الحديث منذ بداية انتظام الحركة الإصلاحية في سنة 1925 حتى يومنا هذا لم يخرج عن هذا الاختيار قط فقد دعا رمضان محمود إلى وضع الشعر العربي في إطاره الصحيح ليتماشى مع واقع الأمة العربية التي أخذت تفتح عينيها على النهضة الحديثة، وطلب الشعراء بالتحول عن اهتمامهم المسرف بالصنعة الشكلية إلى اهتمامهم أكثر بالمضمون، مضمون يستوعب واقع الشعب العربي المضطهد ويتغنى بالأمة وأماله ذاهبا إلى أنه آن الأوان لأن ينصرف الشعراء عن هذا الشعر الذي يخدم الخواص وأرباب القصور ويصف المراقص إلى شعر يقود الجماهير ويهتم بقضاياهم، فهو يتصور بأن "الشعراء روح الشعر الذي يحرك نفوس العامة، ولا يذكرها بواجبها المقدس ووصفها خيانة كبرى وخنجر مسمم في قلب المجتمع الشريف".

فهذا المتنبي يقول:

الشـــعر للمجـــد عنـــدي لا يحركنـــي فيـــه جبـــان نبـــل العـــيش رغبـــا
الشـــــعر عنـــــدي إيمانوتضـــــحية ومكرمـــات لهـــا قـــد صـــرت مدنســـا
والســـيف لـــيس لعـــرض فـــي مناســـبة ولا لقطـــع يـــد مـــن جـــائع نهبـــا
إن الســـيوف ســـيوف الحـــق مشـــرعة ولا يخيـــب عزيـــز الســـيف إذا طلبـــا

هــاب القنــا نصــنع التــاريخ شــفرتها أعطيـك مـن سلسـبيل الشـعر مـا عـذبا[1]

فقد تفطن الشعراء كما لم يتفطنوا من قبل بأن الموضوع الوحيد الذي يجب أن يعتنوا به هو الشعر الاجتماعي عامة والوطني بخاصة، حيث عرف الاتجاه الثوري تصاعدا وحماسة في الجزائر بعد أحداث 8 ماي 1945 وكان أكثر الشعراء حماسة في الجزائر في هذا المجال هو الشاعر والناقد حمزة بكوشة الذي راح يحمل الشعراء أمانة تغيير مجرى التاريخ لأنهم على حد تعبيره قلب الأمة الخافق ولسانها الناطق وهو يرى "بأن الشاعر الخالد هو الذي يشعر بشعور الأمة ويتألم بالأمة ويوحد آلامه بآمالها، ويخلد شعره بتخليد أحداثها وأن الناحية المخصبة في الشعر والناحية الخالدة فيه هي الناحية الاجتماعية والسياسية بالنسبة للجزائر المسكينة التي كادت تفتك بها الأمراض الاجتماعية والمكائد السياسية التي غناها وحاكها لها المحتلون"[2].

والحق أن الدارس للشعر الجزائري الحديث ليعجب بهذه القصائد الكثيرة ذات المضمون الاجتماعي العام حيث يقول صالح فخري عن هذا الشعر: "بأن الشعر الجزائري الحديث العام بمختلف مضامينه وطرائق تعبيره إنما هو شعر نضال ووطنية وإصلاح اجتماعي وفكري وسياسي يستهدف القضية الوطنية في أوسع مجالاتها وأبعد أبعادها"[3].

وقد تجلت هذهالظاهرة في الشعر الجزائري كأروع ما يكون التجلي إبان الثورة التحريرية، حيث راح الشاعر الجزائري يطلق كلمات كرصاصات مسددة مصوبا قذائفه في شكل قصائد حماسية أما حاثا فيه إخوانه على النضال أو مشيدا بالبطولات أو منددا بالسياسات الاستعمارية،

(1) مجلة الثقافة، إصدار وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر.العدد60، ذو الحجة 1400هـ –1401هـ، ديسمبر 1980، ص19.

(2)مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص 19–20.

(3) المرجع نفسه، ص 20.

فهذا الشاعر أبو القاسم خمار يعبر عن التزامه موضحا الأسباب التي جعلته يختار هذا الموقف عن قناعة ذاتية، وإيمان عميق إذ يقول "أن الأديب المعاصر لا يفكر لنفسه ولا ينتج لمجرد الإنتاجوخاصة أديبنا الجزائري الذي عانى آلام الاحتلال الأجنبي وكل عنف الثورة ...

ومن هنا كانت فكرة الفن للفن بعيدة عن واقعنا الراهن وأصبح لمفهوم الأديب عندنا مفهوم ثوري كمفهوم المناضل الذي لا يطابق معنى فنان أو أديب حقا وليس هذا إجحافا للأدب على ماأعتقد لأن طبيعة واقعنا تفرض علينا أن نكون واعيين وضراوة ثورتنا تحتم علينا أن نصيب الهدف بكل صراحة وإخلاصأن برصاصة أو بكلمة..."[1].

فهو يقول في مقدمة ديوانه أوراق:

وتركـــت الغنـــاء شـــيئا فشـــيئا لـــم يعـــد ذلـــك الغنـــاء فتيـــا
أيـــن منـــي قصـــيدة تتلظـــى مـــن قصـــيدة يفـــيض جمـــرا أبيـــا
أيـــن منـــي أغنيـــة لليـــالي مـــن هتـــاف غطـــى الربـــوع دويـــا
أيـــن منـــي و فـــي الجزائـــر آهـــات تهـــز القلـــوب هـــزا قويـــا
يـــا هزالـــي أنـــا رفعـــت مـــع الثـــوار صـــوتي و لـــم يكـــن مـــدفعيا[2]

هنا يعبر الشاعر كما يقول حنفي بن عيسى عن ذلك التحول الجذري الذي هز نفسه فهز بالتالي شعره ونقله عن شاعر رقيق كان يتغنى بقصائده بكل حماسة.

إنّ الشاعر الجزائري الذي انبثق الشعر على لسانه مع تفجر ثورة نوفمبر لم يستطع إلا ليكون شعره قطعة لهابة من هذا البركان الهادر ولم يستنكف الشاعر وهو يصدر هذا

(1)مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص 22.

(2) أبو القاسم حماز، ديوان أوراق " الشركة الوطنية والتوزيع، مطبعة دار البعث، قسنطينة، ص 8.

الإحساسالعارم أن يتحول من شاعر إلى خطيب دون أن يكون له في ذلك اختبار[1]، كما صرح بذلك صالح خرفي في قوله:

" لم أكن مرة بشاعر فخر
ولئن كانت المنابل تغري
غير أني والله يعلم سري
يبعث العز في عروقي وشعري
أن أراني سليل تلك الجزائر
بلد اليأس، والغدا والمفاخر"[2].

إنّ الميزة العامة التي امتاز بها الشعر هو حماسة المتوثبة تفكيرا وتعبيرا، وأن الموقف الذي يلتقي عنده الشعراء هو إيمانهم الراسخ بالكفاح المسلح وسيلة لا بديل لها للحرية، وتأكيدهم الاجماعي بأنّ مرحلة المطالب السياسية قد ولت إلى غير رجعة، وأن المفاوض الوحيد الذي يسمعه المستعمرون فصيحا قويا هو الرشاش، ومن ثم فان نوفمبر الذي حقق هذه المعجزة وخرج بالجزائر من المرحلة السياسية إلى المرحلة الثورية بات في نظر الشعراء رمزا مقدسا وأصبح اسم نوفمبر مرادفا لاسم الجزائر فكان إلهامهم الذي أوحى لشعرائنا بأغلب شعرهم الثوري..

فهذا محمد باوية يقول عن نوفمبر بأنه تلك اللحظة التي غيرت مجرى التاريخ في الجزائر إذ ساعة الصفر هي الدقيقة التي عبّرفيها الشعب الجزائري من دنيا المذلة والهوان إلى حياة العزة والكرامة. في تلك الدقيقة بالذات خلق الفرد الجزائري خلقا آخر فقد أيقظ في أعماقه الإنسان، وعن كل هذا يقول:

(1) صالح فخري، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، 1984م، ص 173.
(2)صالح فخري، الشعر الجزائري الحديث، ص 173.

"وهذه البارود عربد
والقرى حولي تردد
ساعة الصفر انفجارات عنيفة
يقظة الإنسان ... ميلاد الحقيقة
أنشديني أنشديني يا صديقة
قصة مشحونة بالموت
قصة الأوراس جرحي
جرحنا الخلاق يا صحبي وجود الحقيقة ..."[1].

وسرّ تقديس الشعراء لنوفمبر يكمن في هذه الدقيقة الخالدة التي اختارها القدر لتكون ميلادا لهذه الثورة العملاقة التي تقلبت في رحم الزمان طويلا وجاءت هذه المعاني الثورية التي تصيب الإنسان بالانبهار كما ذكر اسم نوفمبر وإلى صورة البطولة والفداء فالثورة هي التي دفعت بالشعراء إلىإثبات الذات في الساحة الفكرية والسياسية.

وهي التي أفرزت جيلا من الشعراء التزم بقضية الثورة وزاد عنها بكل ما أوتي من قوة الفكر وقريحة الشعر، وقد تنافس الشعراء من أبناء هذا الوطن في الزود عنه بالكلمة الخارقة من أمثال محمد العيدال خليفة، مفدي زكريا الذي لقب بشاعر الثورة، وصالح باوية ومحمد الأخضر السائحي وأحمد سحنون وكم هم كثيرون بل ذهب بعضهم إلى أن كل ما يمكن أن يقدمه إنسان لهذه الثورة لن يصل مدى التضحية والروح وكل مشاركة أخرى مهما تكن فعالة لن تبلغ أبدا شرف الاستشهاد ولذلك راح أبو القاسم خمار يتساءل تساؤلا مريرا.

أيثـــور فـــي أرض الجزائـــر ثـــائر وأنـــا هنـــا كالصـــخر كـــالأموات؟
أيقـــوم فـــي أرض الجزائـــر نـــاقم كالليـــث بـــزار مرعـــد النبـــرات؟

(1) صالح فخري، الشعر الجزائري الحديث، ص 26-27.

ليمـــوت أهلـــي تحـــت ســـطوة ظـــالم وأعـــيش فـــي ســـلم علـــى علاتـــي؟
ليصـــبح مـــن المـــؤمنين مجاهـــدا يـــدعوا إلـــى حريتـــي ونجـــاتي؟
فأجيبـــه فـــي الشـــرق مـــرتعش الخطـــى كالشـــيخ فـــي الركعـــات والســـجدات؟
وإذا تحـــــررت الـــــبلاد وجئتهـــــا مـــاذا أقـــول لصـــابغي الرايـــات؟[1]

إنّ عظمة هذه الثورة التي استوقفت نظر الدنيا فراحت نتأملها بإعجاب شديد، تعتبر حسب رأي أمد النقاد المشارقة أول ثورة عربية تدخل نغمة التفاؤل والاعتزاز في الأدب العربي[2].

الأمر الذي جعل الشعراء العرب يتغنون بها ويثقون بنتائجها، ومن هؤلاء الشعراء سليمان العيسى الذي ينظر إلى ثورتنا المظفرة على أنها نورة العرب جميعا وهو لم ير الجزائر بعينه فقد تمثلها بقلبه، وأخذ ينذر المستعمرين بالويل، وأن فتيان الجزائر الأحرار سيطاردونهم في السفوح والجبال والوديان والمدن والقرى حتى يطهروا منهم الأرض، وأن العدو الغادر مهما حاول أن يفصل الجزائر عن الوطن العربي فلن يفلح له مسعى، ثم استبشر بهذه الثورة التي أيقظت العرب واستشرق فجر وحدتهم في لمعان السلاح الثائر وأن العرب سيعودون من جديد لهداية البشرية إلى طريق الهدى والرشاد بعد أن ظلت الطريق السوي.

فهو يقول:

لم أزرها أرض أجدادي التي ماجت رعودا
والتقت بالمجرم الباغي دخانا وحديدا
غير أني لم أعش خلجة منها بعيدا
تتخطاهم ضحايانا سهولا ونجودا

(1)المرجع نفسه، ص 28.
(2)صالح فخري، الشعر الجزائري الحديث، ص 30.

ليعتموا ما يشاءون على الرمل حدودا

كما نجده أيضا قد افتخر بأبنائها البواسل الذي وقفوا في وجه العدو وحتى سقطوا شهداء ومن بين هؤلاء العصماء "يوسف زيغود" هذا القائد الثائر الذي قال في حقه سليمان العيسى.

صمت الوادي يروع الوادي
وسحابة من لوعة وحداد
رأسي على الهضبات ريش نسورها
وتمزقت من بعد طول جلاد
هذا الوميض ... فلا أنين شظية
لهب إلى دمنا ليهتفد صياد
وتجيب من وكر النسور رصاصة
لتصير .... هذي تربتي وبلادي
لن يسلم الوادي ... على أجساد[1]

فالشاعر هنا يصور لنا الصورة التي استشهد عليها هذا البطل المغوار حيث صمد في وجه العدو حتى آخر لحظة وفضل الموت قبل أن يقتله العدو الغاشم، بعد انتظار دام ساعات ثم أفرغ رشاشه في جسده مصرا على أن تربة الوادي الذي ضحى بنفسه من أجلها هي تربة بلاده التي لم يسلمها للعدو الغاضب إلا على جثته، فالشاعر يتحدث في هذه القضية بعنوان يوسف زيغود وكأنه عايش تلك الصور الرهيبة التي رسمها المستعمر في الوادي.

ومن هنا يمكن القول أن الأدب كان عند العرب متصلا بالحياة السياسية منذ القدم اتصالا وثيقا، كما كان مساهما في الحياة، والعرب عرفوا الالتزام لكن ليس كالمصطلح الذي هو عليه اليوم وإنما عرفوه في جوهره.

(1) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1955، ص 293.

2-الالتزام في العصر القديم:

إنّ كلمة الالتزام كلمة قديمة في أصل اللغة، وجاء المعاصرون فخصصوا هذه الكلمة في استعمالاتهم الفنية والأدبية وأصبحت مصطلحا من المصطلحات يعين المشاركة في قضايا الجماهير. وكان الالتزام جليا في كتاباتهم وشعرهم مما أظهر نوعا من الجرأة الأدبية فأصبح الأديب يكذب دون خوف ملتزما بقضايا أمته مقنعا بكلمه سواء أرضت الآخرين أم أسخطتهم. وذلك هو الأديب الملتزم الحق.

إنّ الحرية الحقيقية تظهر في العمل والقدرة على الالتزام من أجل بناء الحاضر والمستقبل فقد ذهب سارتر في كتابة الأدب الملتزم سنة 1948 الذي عالج فيه الالتزام في الأدب إلى أن الأدب واقعة اجتماعية تنبع من المجتمع وتتوجه إليه في معالجة أزماته وقضاياه، والكاتب وسيط مسؤول اتجاه مجتمعه وعصره فهو يقول "لا يستطيع إلا أن يكون ملتزما" لا لأنه أديب فحسب بل لأنه إنسان أيضا وعليه أن يختار موقفا بشأن ما يجري في مجتمعه وأن يعانق قضايا عصره[1].

بل بعض النقاد يؤكدون بأن الذين سبقوا إلى هذه الرؤية هم الرومنسيون، إذ أول عبارة في تاريخ التنظير النقدي قد أحكمت الربط بين الأدب والحياة هي العبارة المأثورة عن الناقد الانجليزي المشهور 'كولوج' الذي يقر فيها "إنّ الأدب نقد الحياة"[2].

فالالتزام يبدأ من صدق الأديب إنّ كان صادقا بما يحس به من صدقه إنّ كان صادقا بما يحس به من آلام وحسرة اتجاه قومه فوجب عليه إنّ ينتفض بقلمه انطلاقا من صدقه وإنّ لا

(1) محمد عزام، قضية الالتزام في الشعر، ص 22 -23.

(2) د. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط3، القاهرة، دار الفكر، ص 372.

يستسلم مهما كلفه الأمر غالبا أمام جبروت القيم المنهارة، الموت، الحرية المسلوبة، المأساة، وأن يعمل جاهدا من أجل الالتزام بغيره باسترجاع ما ضاع من حقه.

المبحث الثالث: أثر الثورة الجزائرية عند أهم شعراء العرب

1-في الجزائر:

يزخر النتاج الأدبي الجزائري بالشعر الثوري، حتى إننا نكاد نصنفه في مجمله إما ثوريا أو وطنيا، ويعود ذلك لأصالة الدم القومي الذي يسري في عروق أبناء الوطن، وربما يرجع ذلك لفظاعة المأساة التي عاشتها الجزائر حقا من استبداد وظلم وقسوة واستعمار، وما إرادة الجزائر إزاء هذا الموقف إلا أن تعوّل على سواعد بنيها وكفاءة رجالاتها، واعتمادها على نفسها، وثقتها بجهودها، وأملها في غدها، ومضيها في عزيمتها، وسيرها أشواطا في الطريق المرسوم، وما تمرد شعبها عملاقا يكسر القيود ويهدم الحدود ويقهر كل ما يعترض مسيرته الثورية من عقبات وعراقيل، سوى سبيل لتحريك الشاعرية الخامدة، وانطلاقا للألسن الخرساء وتفجير لينابيع القول البليغ والبيان الرائع، فاهتزت أريحيات الإكبار والإعجاب وعصفت بالأحاسيس زوابع الشعر ثائرة فائرة، فكانت الثورة الجزائرية مستوحى خصبا عند بعض، ومصدر إلهام عند آخرين، ومجالا للأخيلة الخلاقة والأساليب الرشيقة والآيات الباهرات هنا وهناك، فهذا شاعر جبار يقف في مطلع السنة الخامسة للثورة يحيها تحية خالدة، ويشيد بها هذه الإشادة التي يحس القارئ من خلالها لعلعة صيحات الجهاد، وقعقعة ضربات السلاح، وجعجعة أصداء البارود، فيتخيل أن الجزائر كلها تحوّلت إلى بركان يتلظى لهيبا ودخانا، ويسرع نارا وغبارا، وكأن جبالها الشم ركبت ظهر عفريت مارد جبار، فهي كلها زلزال مهولة، ودور منهارة، وقصور تتحول إلى سراب وخراب ورؤوس الطغاة المستعمرين تتطاير هنا وهناك هباء منثورا[1]، وتكون اللوحة العبقرية التي يقدمها مفدي زكريا بهذه الروعة:

(1)مجلة الأصالة، عن إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد الخامس، السنة الأولى شوال 1392هـ، نوفمبر 1971م.

هــذا (نــوفمبرُ). قــمْ وحــيّ المِــدفعا واذكــرْ جهــادَكَ. والســنينَ الأربعــا!
واقــرأْ كتابَــكَ، للأنــام مُفصَّــلاً تقــرأْ بــه الــدنيا الحــديثَ الأَروعــا!
واصــدعْ بثورتــكَ الزمــانَ وأهلَــهُ واقــرعْ بــدولتك الــورى، و(المجمعــا)
إن الجزائــرَ قطعــةٌ قدســيّةٌ فــي الكــون. لحّنهــا الرصــاصُ ووقّعــا!
وقصــيدةٌ أزليّــة، أبياتُهــا حمــراءُ. كــان لهــا (نــوفمبر) مطلعــا![1].

فشاعرنا هنا لا يرضى بالتحية من جلوس، ولا يكتفي بأن تهز الثورة أرض الجزائر وآفاق الوطن العربي، بل إنّها عنده تصرع الزمن وأهله وحتى جمعية الأمم، ولا يرضيه أن تكون المدافع في هذه القضية من الخطباء المصاقع، وإنّما خطيبه هو السلاح حتى إذا بلغ إلى تحديد موضوعه وقضيته هي الجزائر الثائرة، أخرج قاموسه الخاص ليصف هذه العملية بأنّها (رسالة حررها الشعب ووقعها الله جلّ وعلا)[2]، وهي بعد ذلك كله قطعة موسيقية لم يلحنها أحد من النّاس إنّما لحنها الرصاص على أنغامه وتوقيعه الهادر، وهي إلى جانب هذا كله قصيدة أزلية لونت أبياتها بالحمرة المقدسة وكان طالعها نوفمبر وقوافيها الجماجم، ودويها لم يسق بالحبر والمداد ولكن بالدم، ولم تغنّها الألسن وإنما غنّاها الضمير الحرّ، ذلك أنّ الشعب قد استيقظ وشمّر للتحرير بجمهور إيمان وصدق في هذه القصيدة الموسومة "باقرأ كتابك".

وليلة أول نوفمبر لازالت تبعث في نفس الشاعر أعظم الوثبات المخلدة لأروع ملحمة بطولية شجعها شعبنا الباسل حيث هبّ كرجل واحد لإنقاذ الوطن من براثن الاستعمار وشروره، فيقول في هذا الشأن:

(1)مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، منشورات المكتب التجاري، بيروت، نوفمبر 1961، ص 57.
(2)محمد الأخضر عبد القادر السائحي، نوفمبر الصوت والصدى، الموسوعة التاريخية للشباب 1954–1984، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1985، ص 35.

دعـــا التـــاريخ ليلـــك فاســـتجابا (نـــوفمبر)هـــل وفيـــت لنـــا النصـــابا؟
وهـــل ســـمع المجيـــب نـــداء شـــعب فكانـــت ليلـــة القـــدر الجوابـــا؟
زكـــت وثباتـــه عـــن ألـــف شـــهر قضـــاها الشـــعب، يلتحـــق الســـرابا
وهـــزت " ثـــورة التحريـــر " شـــعبا فهـــب الشـــعب يلعـــب انصـــبابا[1].

ولم يقف مفدي زكريا عند هذا الحدّ في تصوير ليلة أوّل نوفمبر المجيدة بل نجده يتجاوز ذلك ليتحدث عن الجزائر مصوّرا إياها في صورة أمة مسكينة تعاني من ويلات الاستعمار الغاشم فيقول:

حنانـــا علـــى أم نتوءعليلـــة بكارثـــة جلـــى وصـــاعقة دهمـــا
حنانـــا علـــى أم يصـــارعهاالردى ويأكلهـــا و-الـــوعي-دهرهـــا لمـــا
ويبتـــر منهـــا الـــدهر دوماحياتهـــا وينهبهـــا جبـــرا ويســـلبها حتمـــا
إذا رفعـــت يومـــا مـــع الحـــق رأســـها أخرجهـــا لكمـــا وأوســـعهالطما
وإن جـــال يومـــا خاطربفؤادهـــا غرامـــا إلـــى العليـــاء أرشـــقه ســـهما[2].

ولا نستطيع المرور من الشعر الجزائري دون الإشارة إلى ديوانه الحق دون منازع، كيف لا وهو الملقب من قبل النّقاد الجزائريين بأمير الشعراء الجزائريين، بالنظر لمواكبته لكفاح شعبه في سبيل استرداد حريته، وإقامة دولته المستقلة التي يرفرف علمها على كل شبر من أرضها ولكونه أيضا شاعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي مهدت لحركة النهضة والبعث على طريق النهج الإسلامي والعودة إلى الجذور العربية.

فقد تحوّل أعضاؤها الذين يتمتعون بالموهبة الأدبية فيكتبون الشعر، والقصة أو المسرحية إلى مناضلين بالكلمة لا مجرد معلمين مصلحين، وكانوا بذلك من أدباء المقاومة وفي مقدمتهم شاعرنا

(1)مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، ص 30.
(2)المصدر نفسه، ص 34.

الأبي "محمد العيد" وليس أدل على دوره من محاولة المستعمرين إسكات صوته لمنع انتشاره فحكموا عليه بملازمة بيته دون مبارحته وذلك نوع من الاعتقال السجن، ولأنّ هؤلاء الغاصبين كانوا يدركون أنّ القلم سلاح ناجح في المعارك لا يقل أثرا عن أدوات القتال.

وشاعرنا آل خليفة أهل لذلك لما له من جزالة لفظ وخبرة وقدرة في اللغة ونفس طويل وطهارة في الروح وسعة في الأفق فكان بحق شاعرا صادقا، ومعلما قديرا، صحفيا وزاهدا فأكبرت فيه الشعر والعلم والتصوف، فاحتل مكانة في القلوب والأرواح، غير أننا لا نستطيع أن نمكث معه إلا لحظات خاطفة، وتبدأ إطلالتنا هاته على شعره من خلال قصيدته الآتية التي يقول فيها:

مثل (التبسي) الرضى داعي الهدى ... و(ابن المهيدي) الفتى حامي الذرى
والقائد (الحواس)، أو (بو العيد) أو ... (ديدوش) أو (زيغود)، آساد الثرى
واذكر من الشهداء (عيسات) الذي ... وفى و(لطفي) الجريء المسعرا
واذكر من الشهداء (لابوانت) الذي ... في القصبة العليا تحدى العسكرا
واذكر مؤنض الشهداء (حوحو) كاتبا ... حرا، و(حيحي) ثائرا ومثورا
ورفيقي الشعر (الربيع) وخله ... (عبد الكريم) فواجب أن يذكرا[1].

هؤلاء إذن معالم من الشهداء، كل شهيد وراءه آلاف الشهداء سقطوا في ميدان الشرف أمامه وبين يديه، وفي أعماق قلبه الكبير الذي كان يخفق خفقة قلب الجزائر المنطلقة في مغامرة تكسير أغلالها، وقيودها بكل عنف، وبما لديها من استطاعة وقدرة على الصبر وتحمّل الجراح الثخينة والآلام الكبيرة حتى أصبح الاستشهاد علما على الجزائر، وأضحى الوقت لديها تقدر لحظاته ودقائقه بالدم يقطر من قلب الشعب الجزائري في كل حين، وفي كل قطرة تسقط تصعد أرواح عدد

(1)د. حسن فتح الباب، شاعر الجزائر (محمد العيد آل خليفة)، الدار المصرية اللبنانية، مشاهير الشعراء العرب، ط1، صفر، 1423، مايو 2002م، ص ص 74-75.

من الشهداء الشهيدات الخالدات، لذا فإنّ شرف الشهادة قد توزع في ذرات التراب الجزائري حتى أخذ كل حي نصيبه منه، لا فرق بين رجل وامرأة ولا بين كبير محترم ولا بين صغير بريء، جميعهم دعتهم الجزائر للتضحية فلبوا نداءها بدمائهم الزكية الطاهرة التي فاض إشعاعها الصافي على الوجود بأكمله:

إنّ الشـــهادة فـــي الجزائـــر أصـــبحت علمـــــا عليهـــــا بالســـــعادة تبشـــــرَا
قـــد شـــرف الجنســـين مـــن ذكـــر ومـــن أنثـــــى وأكبـــــر قومهـــــا والأصـــــغرَا[1].

ويحفل باب الثوريات على غاصبيه، وقد ينظم أبياتا هادئة، ولكنها حادة السخرية لاذعة كالسياط.

2-في تونس:

إنّ عظمة الثورة الجزائرية وضراوتها لم تستوقف الشعراء الجزائريين فحسب، بل تجاوزتها إلى أقطار عربية أخرى، كتونس هذا البلد الذي اعتبر أبناؤه النضال في الجزائر هو نضال لهم في تونس وهذا ما نلمحه من قول محمد صالح الجابري من تونس: (إنّ هذا القطر الشقيق (الجزائر) الذي منحته الأقدار فضيلة أن يسخوا بمليون شهيد من أبنائه، وأن يعمد تربته المعطارة بدماء الآلاف من الخالدين هذا القطر رفع التاريخ الشعوب) لتكتب له الأبدية بين الشعوب التي أصبحت مثالا يباهي به.

ومن هنا راح الشعراء التونسيون يجودون بشعر غزير لتخليد ثورة الجزائر، ويقف في مقدمة هؤلاء الشعراء "مصطفى خريف" الذي يكاد ينفرد بإحساس عارم بالجزائر وأرضها ونضالها، فهو

(1)محمد العيد آل خليفة، الديوان، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة، الجزائر، 1967، ص 443.

على الرغم من أغلاله وندرة ما يكتب فإنّ (القصائد الجزائرية) كان لها شأنها في ديوانه وأولى هذه القصائد كتبها في سنة 1930 وآخرها في سنة 1957، عندما شارك في أول احتفال من احتفالات ذكر استقلال تونس في سنة 1997، وكانت حرب التحرير الجزائرية على أشدها، فإنّ فرحة أهله بتونس لم تنسه مآسي عائلته بالجزائر، إنّ هذا يدل على الموقف الواعي للشاعر التونسي اتجاه القضية الجزائرية يقول مصطفى خريف:

كيف يحلو عيش من في صدره ... كبد حرى وقلب يتفطرُ
هذه البيضاء تشكو بغيه ... وهي حرح من دم المغرب يقطرُ
كلما مر بذكرى طيفها ... هاج في الحس شجونا لا تعرُ
وبدا كل مذاق عندها ... ذا مرارة بلا طعم مكدرُ
جاش ما بين ضلوعي جاثم ... كلهيب الأطلس الآشيب يزفرُ[1].

فالشاعر هنا يصوّر ألمه وتفطر قلبه لما يعانيه أشقاؤه في الجزائر بالرغم من استقلال بلده تونس، وهذا يدل على مؤازرة الشاعر التونسي لإخوانه الجزائريين وما لحق بهم من ذل وهوان.

يقول "مصطفى خريف":

لبيك يا قلب الشمال فتونس ... مما أصابك جرحها نغارُ
قسما بأطفال تخر رقابهم ... وأمومة أودت بها الأكدارُ
قسما بكل بريئة قد لطخت ... وعواطف الشرفاء حين تثارُ
وبكل شيخ عذبوه وقتلوا ... وبكل بيت باللظى ينهارُ
وبكل دمع قد جرى مستصرخا ... وبوثبة الموتور حين يغارُ
نفديك باستقلالنا مهما علا ... ولكم قضت من أجله أعمارُ

(1) مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص 57.

لبيـك يـا (لـوراس) يـا علـم البطولـة والفـــدا يـــا أيهـــا الجبـــارُ
يـــا بهجـــة التحريـــر جيشـــك ظـــافر مهمـــا طغـــى المســـتعمرون وجـــارُوا[1].

وقد وقف أيضا "أحمد اللغماني" أكثر من وقفة عند الثورة الجزائرية، فوصف بطولة الثوار وبسالة الجماهير الشعبية وصمودها أمام أعداء الحرية ففي قصيدته "المغرب الكبير" يعبّر الشاعر في بدايتها عن تعلق الأشقاء في تونس بأرض الجزائر الثائرة، مسجلا مدى إعجابهم بالتضحيات الجسام التي يقدمها أبناؤها بكل سخاء في سبيل عزتها ومناعتها فيقول:

بـــوادر خيـــر باركتهـــا نفوســـنا ولكننـــا نرنـــو لأثـــر البـــوادر
ولكننـــا نرنـــو إلـــى كـــل ذرة وكـــل حصـــاة مـــن تـــراب الجزائـــر
دمـــاء الضـــحايا روايـــات أديمـــه وأشـــلاؤهم مطروحـــة فـــي الحفـــائر[2].

ويتساءل الشاعر مستنكرا أمر الاستعمار الذي بالغ في اقتراف الجرائم البشعة حيث راح ينتقم من أولئك المظلومين الذين لا ذنب لهم سوى أنهم صرخوا في وجهه دفاعا عن نبلهم الذي عانق المجد منذ القدم، وعن إحساسهم الذي لم يعد صخرة جامدة وعن ضمائرهم التي لم تمت، كما راح يتساءل عما إذا كانت شمس العدالة لم تغرب عن عالمنا المملوء بالظلم والطغيان حتى تقوم فرنسا المتمدنة بفعلتها اللاإنسانية حين حوّلت أرض الجزائر بمداشرها إلى أطلال بالية، وفي كل ذلك يقول:

فهـل أجـرم المظلـوم إن صـاح أو شـكا فيسـرى بـه فـي الحـين نحـو المجـازر؟
وهـل مـات فـي الإنسـان نبـل سـما بـه قـديما إلـى أعلـى الـذرى والمنـابر؟
وعلـى عـاد إحسـاس الخلائـق صـخرة وأصـبح أهـل العصـر مـوتى الضـمائر

(1) مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص 57.
(2)مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ص 39.

هــل غربــت شــمس العدالــة واختفــت بعالمنـــا المجنـــون خلـــف الـــدياجر؟
وهــل أمـــة التمـــدن أصـــخت ولوعـــة بتخريـــب هاتيـــك القـــرى والمداشـــر؟[1].

وقد تغنى الشاعر التونسي أيضا ببطولة المرأة الجزائرية وصمودها في الثورة الجزائرية من أمثال الشاعر "أحمد مختار" الذي يقول:

جميلـــــة أنـــــت الوجـــــود بمـــــا تريـــــــدين مختـــــــارة راضـــــــية
وأنـــــــت الحيـــــــاة وأكوانهـــــــا بمـــــا فيـــك مـــن عزمـــه ماضـــية
وذاك الإلـــــه الســـــخي الســـــناء يبـــــــارك أحلامـــــــك الزاكيـــــــة
هـــــو الحـــــب كـــــوثره زاخـــــر وأثمـــــــار جنتـــــــه دانيـــــــة
فكـــــوني لقومـــــك كـــــوني لهـــــم مـــــن الحـــــب آيتـــــه العاليـــــة[2].

فهنا الشاعر يصف جميلة على أنها هي الوجود، وهي الحياة، ثم هي الحب بالنسبة لشعبها ويتطرق إلى وصف بسالتها وثباتها وتحديها لأصناف التعذيب وأساليب المسخ والتشويه حين يقول:

عنيـــف مـــن الشـــر لاذوا بـــه لتحطـــــيم عزمتهـــــا الماضـــــية
فمـــا خدشـــوا كبريـــاء الصـــمود ولا قلقـــــوا الصـــــخرة الراســـــية
وهيهـــــات هيهـــــات أن يفعلـــــوا وفـــــي قلبهـــــا القـــــوة العاليـــــة
وقامـــــت جميلـــــة مـــــن دونهـــــم قيـــــام المدججـــــة الحاميـــــة
تـــــريهم ســـــخافة مـــــا يفعلـــــون ببســـــمتها العذبـــــة الرازيـــــة[3].

لقد كان الشاعر التونسي يعد نفسه ضمن ثوار الجزائر، يناضل معهم وفي صفوفهم، إن لم يكن بالجسد فبالعاطفة والروح والأمنية.

(1)مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ص 39.
(2)المرجع نفسه، ص 39.
(3)نفسه، ص 57.

3- في المغرب:

لقد كان خبر اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر بشرى هلل لها الأشقاء والأصدقاء، ليس في المغرب العربي فحسب بل في كل الوطن العربي وفي العالم بأسره، وقد هزت هذه الثورة العديد من الشعراء المغاربة فوصفوها وخلدوها في أشعارهم، فهذا "إدريس الجاي" من المغرب ينوّه في مطولته "أرض البطولة" بأرض الجزائر الثائرة، وبأبطالها الشجعان مع تأكيده على مدى قوة هذه الثورة وصلابتها، وصمودها أمام نيران العدو وذلك لأنها تستند إلى الحق والعدل، فكانت بركانا عظيما هز المستعمر هزا عنيفا، وفي هذا الصدد يقول الشاعر:

أرض البطولة، جل الأمر والشأن ... كذا يذود عن الأوطان شجعانُ
ياثورة شنها الأحرار عارمة ... فقوضت ما بنى ظلم وعدوانُ
ما جلجل الرعد يوما مثلما قصفت ... بنادق الحق، والنيران نيرانُ
بل جاش في الصدر إيمان فأججه ... لهيبه فهو يوم البعث بركانُ[1].

ونجد الشاعر دائما يصوّر لنا عظمة هذه الثورة، معبّرا عن تضحيات وصمود شعبها، وتحديده لأعدائه بعزم وإرادة فيقول:

أرض الجزائر أبناء الجزائر ما ... من بينهم من رضوا ذلا ولا هانوا
ولا استكانوا لجبار بل انطلقوا ... كما يزمجر (أوراس) طوفان
يسير دونهم كلّ الذي ملكوا ... مال، وأهل وأرواح وأبدانُ[2].

(1)مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ص 37.
(2)المرجع نفسه، ص 72.

وتهز البطولة في الجزائر مشاعر شاعر مغربي آخر يدعى "محمد الطنجاوي" فتجود قريحته بقصيدة "من وحي النضال" وفيها يسجل إعجابه بالشعب الجزائري وصموده اليومي أمام المعتدي دون كلل أو ملل يقول:

يـــا لشـــعب يخوضـــها ثـــورة حمـــراء بالـــــــدمع والـــــــدماء والمجـــــازر
يـــا لشـــعب تســـعى الخطـــوب إليـــه ثـــم ترســـيه بـــاللظى وهـــو صـــابر
يـــا لشـــعب ســـود الـــدواهي أتتـــه تفقـــد الرشـــد... طامـــة وهـــو قـــاهر
يـــا لشـــعب شـــعب فيـــه الشـــباب خفـــاق للمعـــالي وهـــو الأبـــي المكـــابر
يـا لشـعب تحطمـت كـل قـوات الأعـادي أمامـــــــــــه والأعاصـــــــــــر[1].

لقد كانت الثورة التحريرية الجزائرية حدثا عظيما، وأشرف معركة وأعنف جهاد عرفته البشرية في عصرنا الحديث، دفع أبناءها للتسابق إلى ساحة الفداء والشرف وهذا ما عبّر عنه الشاعر "محمد بن علي العلوي" في قصيدته "تحية شاعر" فيقول:

وزلزلـــــت الـــــدنيا لثـــــورة أمـــــة تقـــدم للتحريـــــر أرقـــى العســـاكر
وراق لهـــا المـــوت الـــزؤام فلـــم تـــرد بـــــد بـــــديلا إلا انعتـــــاق الجزائـــــر
أبـــت أن تـــرى أرض الأبـــاة أســـيرة يســـيطر فـــي أرجائهـــا كـــل مـــاكر
وأطربهـــا صـــوت الرصـــاص مـــدويا فهبـــت تضـــحي فـــي ســـبيل المفـــاخر[2].

وتغدو أرض الجزائر في تصور الشاعر المغربي كالأرض المقدسة لأنها مهد الجهاد ومعقل الأبطال، فنجد الشاعر "إدريس الجاي" يناشد الأوراس باعتباره رمز للنضال والثورة منبعا للبطولة فيقول:

(1)مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ص 40.
(2)المرجع نفسه، ص 43.

يـــا شـــامخ الأوراس ذكـــرهم بنـــا فلـــربّ نـــاس مـــنهم لا يـــذكر
لغـــة البطولـــة بالرصـــاص بليغـــة لا ســـيما وعليـــك قـــام المنبـــر[1].

وما نلاحظه من خلال هذين البيتين اهتمام الشاعر ومعرفته للجبال الجزائرية التي كانت معقل المجاهدين، وهذا إن دلّ إنّما يدل على أنّ الشاعر المغربي اعتبر الثورة الجزائرية أو الجزائر كبلده المغرب فجاءت مشاعره متأججة وملتهبة التهاب الثورة في ربوع الجزائر.

لقد وقف شعراء المغرب في الثورة الجزائرية موقفا واضحا من مخططات العدو، التي حاول من خلالها إخماد نار الثورة الملتهبة في الجزائر تلك الثورة التي زعزعت وجوده.

4-في ليبيا:

وفي ليبيا الشقيقة يأخذ التضامن مع الثورة الجزائرية أكثر من بعد، إذ لم تبخل أقلام الأدباء والشعراء عن التعبير الصادق عن إعجابهم وفخرهم بالثورة الجزائرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى مساندتهم في جميع النواحي المادية والمعنوية، إذ أصبحت الاحتفالات سواء الوطنية أو الدينية لا طعم لها ما دامت الجزائر تحت الظلم والعدوان المسلط عليها من قبل الاستعمار، وفي هذا المعنى يقول الشاعر الليبي "رفيق المهداوي" في نبرة فياضة بالحماس صادقة المشاعر:

لا عيـــــــد لا تعبيـــــــد إلا بعـــــد تحريـــــر الجزائـــــر
أنكـــون فـــي عيـــد هنـــا وهنـــاك ســـاقي المـــوت دائـــر
لا تســـــالوا عنـــــي فـــــإني يـــــوم هـــــذا العيـــــد ثـــــائر
لكننـــــي مـــــن غيـــــر يـــــأس نـــــاظر يـــــوم البشـــــائر
يـــــوم التحريـــــر لا يشـــــكك فيـــــه إلا كـــــل حـــــائر

(1)مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ص 46.

لا شـــــك فـــــي نصـــــر تـــــدور بـــــه علـــــى البـــــاغي الـــــدوائر
حتـــــى زكـــــاة الفطـــــر قـــــد (أفتيـــــت) فيهـــــا للجزائـــــر[1].

فالشاعر هنا يرفض الاحتفال بعيد الفطر تضامنا مع إخوانه في الجزائر الملتهبة، هذا يدل على الموقف الليبي ككل إزاء القضية الجزائرية.

إنّ التاريخ لا طالما أثبت بأنّ المتمسك بالحق هو المنتصر طال الزمن أو قصر، فالجزائريون صمموا منذ البداية بأن يضحوا بأنفسهم من أجل انتزاع حريتهم وسيادتهم دون تردد وتخاذل، وما ساعدهم على ذلك هو وقوف الشعوب الشقيقة بكل ما تملك إلى جانب شعرائها فهذا الشاعر "علي الرقيعي الليبي" يحث الثائر العربي في الجزائر بأن يمضي قدما في درب النضال والكفاح لسحق الغزاة وفك الأغلال فيقول:

أخـــي فـــي دروب الكفـــاح المريـــر يناضـــل فـــي خنـــدق المعركـــة
تخطـــى الحـــدود مـــع الثـــائرين وكفـــاح ولا ترهـــب التهلكـــة
وحطـــم قيـــود هـــوان الســـنين وأعـــلا لـــك الفضـــة المهلكـــة[2].

والجزائر عند الشاعر الليبي "علي صديقي عبد القادر" هي "الأم" وبالتالي فهو عندما يتغنى بها فإنّه يناجيها بصبغة "الجزائر ... يا أمي" يقول:

صوتي يا امي يهمس
بأنفاس النرجس
لك يا أمي
بأحلام نخيل "جزائرنا"
لحبات تراب شهدتني طفلا

(1)مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ص 232.
(2)المرجع نفسه، ص 74.

لذرات ضمتني في قبري رجلا
وشهيدا بطلا[1].

فالجزائر وطن الطبيعة الساحرة بمختلف مناظرها وملامحها، والثورة الجزائرية قامت لتجديد الحنين إلى التربة وإلى بعث الاعتزاز بالأرض الخصبة وهذا ما أوحى إلى الشاعر هنا بأن كل ما يعرفه عن الطبيعة الجزائرية يرمز إليها ويدل على وجودها منذ كان صبيا، فرجلا ثم بطلا شهيدا حتى القبور نشهد على أنها تضم رفاته بين حناياها.

والشاعر "علي صديقي" موقفه اتجاه الثورة ثابت وصريح وخاصة تنديده بأفعال فرنسا الدنيئة، ففي قصيدته "خسئت فرنسا" استهلها بمقدمة قال فيها: "إلى فرنسا التي كانت ولا تزال بائعة شهوة ماجنة وفأرا قذرا،وخنفساء حقيرة والتي لن تكون دول بحال من الأحوال، أهدي هذه القصيدة"[2]، والقصيدة مليئة بالصور الشنيعة لفرنسا في معاملتها للثوار، فتارة وصفها على أنها حيوان شرس، وتارة على أنها جزار يذبح ويسلخ العباد وتارة باللص في النهب والسرقة، فنجده يقول:

أنت على المقصلة
ككلبة مجزرة نهمة
لولع الدماء
وتمشي بأرجلها القذرة
على جثث الأبرياء
ملطخة بالدم القرمزي السخين
مهدلة الأذنين
كأنهما خرقة بالية.

(1)مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ص 118.
(2)المرجع نفسه، ص 142.

ويرسم لنا الشاعر "أحمد الفقيه" صورة تلبية أحرار الجزائر لنداء الواجب ساعة اندلاع الثورة، مبينا كيف آلوا على أنفسهم بأن لا تهدأ ثائرتهم ولا يستقر قرارهم إلا بعد استئصال جذور الشر والفساد من وطنهم الثائر، فما كان لفرنسا إلا أن تنهزم أمام عزم وقوة ثوارنا، ولا تتلقى سوى الهزائم تلوى الأخرى:

هبـــوا لإنقـــاذ الجزائـــر عنـــدما ... نـــادى مناديهـــا لأخـــذ الثـــأر
آلـــوا بـــأنّ لا يســـتقر قـــرارهم ... إلا بمحـــق معـــالم الأشـــرار
بـــدمائهم كـــان الفـــداء لأرضـــهم ... حتـــى يفـــك القيـــد بعـــد إصـــرار
ضـــاقت بهـــم فرنســـا إذ عـــدت ... بجاهـــدهم فـــي هـــوة مـــن نـــار
تلـــك التـــي انـــدحرت علـــى أعقابهـــا ... بسياســـة خرقـــاء نحـــو بـــوار[1].

لقد لقيت الثورة الجزائرية المظفرة صدى على المستوى الداخلي والخارجي أثناء وبعد الثورة، وهذا لعظمتها وقوتها فأشاد "أحمد الفقيه" بالثورة الذي راح يحيها في أول عهدها.

حيـــي الجزائـــريين أهـــل الضـــاد ... واذكـــر بطولـــة شـــعبها المنجـــاد
شـــعب تطلـــع للعـــلا فتكللـــت ... بالنصـــر ثورتـــه علـــى الأوغـــاد[2].

فالشاعر هنا يناشد الجميع بتوجيه تحية العروبة إلى الجزائر الثائرة، معبّرا عن إعجابه وتقديره للشعب الجزائري الثائر.

إنّ هذا الشعر الغزير من الأشقاء الليبيون يدل على تعاطفهم والتحامهم بالثورة الجزائرية، فجاء تعبيرهم عنها مختلفا باختلاف الأحاسيس، فمنهم من جاءت أشعاره في قصائد عمودية ومنهم

(1)مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ص 118.
(2)المرجع نفسه، ص 142.

من جاءت أشعارهم على الشكل الحر ولكن الكل أسرف في تصوير عظمة هذا الشعب وهذه الثورة العظيمة.

5-في العراق:

اعتبر الشاعر العراقي ثورة الجزائر ثورة كل العرب، وشخّص هويتها القومية، ووحد بين انتصاراتها وانتصارات العرب الأوائل، واعتبر فتوحاتها استمرارا لفتوحاتهم، وبطولاتها صورا لبطولاتهم، وتداخلت في رؤيته الخارجية، واختلط فخره بالماضي مع فخره في الحاضر، وفرحه بالثورة مع رثائه للضحايا وغضبه على المستعمرين.

فهذا "بدر شاكر السياب" في قصيدته "رسالة من مقبرة" يعمم لفظة وهران على المدن العربية، فهناك وهران الثائرة وهنا وهران التي لا تثور يبدؤها بمقطع يحذر الثائرين من اليأس والتراجع عل لسان شهيد يصيح من قاع قبره، لا تيأسوا من مولد أو نشور، مشير إلى أهمية التضحية والاستشهاد، فهي طريق الجياع للسعادة والأشقياء للثور، وهي طريق الخصوبة والحرية فالجائعون يقفون أمام قبر الشهيد فيطمعون من خبزه، يقول "بدر شاكر السياب":

في خبزك اليومي دفء الدّماء
فاملأ لنا في كل يوم و عاء
من لحمك الحي الذي نشتهيه
فنكهة الشمس فيه
وفيه طعم الهواء[1].

كما يقف الأشقياء الكادحون أمام باب قبر الشهيد يقتبسون الضوء منه:

(1) مجلة الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر السنة الخامسة، العدد 28 رجب/شعبان، 1395هـ، أوت/سبتمبر، 1975، ص 84.

وعند بابي يصرخ الأشقياء
أعصر لنا من مقلتيك الضياء
فإننا مظلمون...[1].

ويختم القصيدة بأن يبشر كل من ماتوا بساعة البعث وأن يشرفه رمز البشرية المعدمة قد أطلق سراحه، ويحرض على أن تثور بغداد أسوة بأختها وهران من خلال آهة عميقة مكثفة، فيقول "السياب":

آه لوهران التي لا تثور
وليت الشباب شهد ثورة البعث في بغداد
وكحل عينه بالتأمم والجبهة، وبقية المنجزات المعجزات[2].

وفي نفس الصدد راح يخاطب الثورة الجزائرية من خلال أحد رموزها ألا وهي المناضلة الجزائرية "جميلة بوحيرد" فيقول لها ما جاءت أغصاننا القاحلة بالثمار.... ولما تدفقت قوافيها البديعة فنحن (أي العراقيين والعرب) نعيش في هوة مظلمة وعن طريق تسرب لنا الشعاع الذي يبدد ظلامها:

لله لولاك يا فادية
ما اثمرت أغصاننا العارية
أو زنبقت أشعارنا القافية
أنا هنا... في هوة داحية
ما طاف لولا مقلتاك الشعاع[3].

(1) مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص 84.
(2)المرجع نفسه، ص 85.
(3)عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ج1، ط2، ص 239.

ومن مظاهر التفاعل بين الشاعر العراقي والثورة الجزائرية متابعتها متابعة يومية ورصد أحداثها الصغيرة والكبيرة... رثاء الشهداء، شد أزر السجناء والدفاع عنهم، نشر أفكار الثورة وشعاراتها، تصوير العلاقات التي تعززها الثورة، إشهار البطولات والمواقف العظيمة، جمع الاحتجاجات وإرسال البرقيات الاستنكارية وما إلى ذلك.

كتبت "نازك الملائكة" عن الشهيد دون أن تشخص شهيدا معينا من أبناء ثورة الجزائر فكانت قصيدتها مهداة لكلالشهداء تقول "نازك":

في دجى الليل العميق
رأسه النشوان ألقوه هشيما
وأراقوا دمه الصافي الكريما
فوق أحجار الطريق
حسبوا الإعصار بلوى
إن تحاموه بستر أو جدار
ورأوا أن يطفئوا ضوء النهار
غير أنّ المجد أقوى[1].

فالشاعرة هنا تصوّر لنا الصورة التي قتل فيها الشهيد، من قطه رأسه وإلقائه في الطريق، فالمستعمر الغاشم كان يظن أنه كبح جماح الثورة، أخمد نارها بفعله هذا، ولكنه كما تقول "الملائكة" قد أحيا نفسا جديدا للثورة محليا وعربيا.

وللشاعرة أيضا قصيدة على نمط الموشح تناولت فيها نضال جميلة وصبرها على التعذيب وصمودها في النضال، عنونتها تحت اسم "نحن وجميلة" تقول فيها:

جميلة ! تبكين خلف المسافات، خلف البلاد

(1)نازك الملائكة، ديوان شظايا ورماد، مج2، دار العودة، ط2، بيروت، 1979، ص 236.

وترخين شعرك كفّك دمعك فوق الوساد
أتبكين أنت؟ أتبكي جميلة؟
أما منحوك اللحون السخيّات والأغنيات؟
أما أطعموك حروفا؟ أما بذلوا الكلمات؟
ففيم الدموع إذن يا جميلة ؟[1].

وهنا ترى "نازك الملائكة" أنّ كل ما قيل من شعر في جميلة لا يتكافأ مع ما لقيته من عذاب، بل تخجل من هذا الشعر، وإذا كان وصف مأساتها، وما ابتليت به من محن وإرهاب وجلد وتعذيب تقشعر له بدن الواصف، فكيف به على حقيقته وكيف تحملته هي؟ وتقول لجميلة ساخرة: لا تبكي، ألسنا نغني لك ونشيد ببطولتك وحين تتحرق شفتاك ظمأ نسكب نحن الألحان والأغنيات، ألا يكفي هذا؟ وما ذا فعلنا لإنقاذها؟ لا شيء سوى الهتاف بحياتها.

ولا زالت الثورة الجزائرية تستقطب الاهتمام وتجلب الأنظار من خلال تغني الشعراء العراقيين بها، وتمجيدهم لبطولاتها، فبعد السياب والملائمة، نجد "صالح هادي الخفاجي" يقول عن هذه الثورة العظيمة "إنّ شعوري وأنا أنظم هذه الأبيات، شعور كل عربي يحب أمته ويضحي من أجلها، وشعور كل وطني يحب وطنه، ويناضل في سبيل تحريره وإسعاد شعبه، وشعور كل إنسان يحب الخير لأبناء جنسه، وينشد الحرية والصفاء والتعاون بينهم، وإني ما نظمت هذه القصيدة إلا وأنا على ثقة بأنّ الشعب الجزائري منتصر على أعدائه لا محالة مهما اشتد العدوان وسقطت الضحايا وطال الأمد"[2].

(1)نازك الملائكة، ديوان شظايا ورماد، ص 505.
(2)عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص 21.

فللشاعر قصيدة بعنوان "ديغول والجمهورية الجزائرية" يعبّر فيها عن خيبة أمله وخيبة أمل العرب في ديغول بسبب موقفه من الثورة الجزائرية كما نجد للشاعر مقطوعة صغيرة من أربعة أبيات عنوانها "هذي الجزائر" يقول فيها:

هـــذي الجزائـــر والأخطـــار تفزعهـــا والمـــوت يحصـــد كـــل ابـــن لهـــا وأب
والظلـــم يجتـــاح منهـــا كـــل ثـــائرة وثـــائر فـــي ســـبيل الحـــق والعـــرب
جحافـــل مـــن جمـــوع البغـــي حاشـــدة كـــالموج يهـــدر لا ينســـك ذو الحـــب
ويلتظـــي فوقهـــا لجـــور مصـــطخب مـن القنابـل بـل يعلـو إثـر مصـطخب[1].

6-مصر:

على غرار باقي دول المشرق العربي التي تغنى شعراؤها بالثورة الجزائرية نجد مصر، التي ألهب شعرها حماسة الجماهير العربية في كل صقع لمؤازرة الثورة الجزائرية العظيمة، ومن بين هؤلاء الشعراء نجد "عبده بدوي" الذي يقول على لسان فدائي مصري يغني لثورة الجزائر، ويريد الانتقام من هؤلاء الذين يقفون في سبيلها، ويريقون على ثراها الطهور دماء الضحايا المطالبين بالحرية، وهي دماء أهله وقومه، والمشاركة في المعركة واجب مقدس عليه أداؤه يقول:

ضـــغطت جهـــنم فـــي خنجـــري فدمـــدم فـــي جـــانبي الشـــرر
وملـــت علـــى النّـــار فـــي خشـــعة ففيهـــا الخـــلاص لشـــعب أصـــر
ســـأذبحهم ظالمـــا ظالمـــا وأبنـــي بهـــم فـــوق لأرضـــي هـــرم
نـــذرت دمـــي لقتـــال الطغـــاة علـــى كـــل أفـــق علـــى حـــل يـــم[2].

(1)عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص 21.
(2)مجلة الجيش الوطني الشعبي، السنة 17 ذو الحجة 1399 هـ نوفمبر 1979، ص 35.

إذن قد جسمت مأساة الجزائر، فلم يبقى شاعر إلا هاجته آلامها، وفار دمه حقدا على جلاديها، ونفث غضبته شعرا يمجد فيه بطولاتها، ويطرى فدائيتها وينصبها مثلا عاليا للكرامة العربية التي تأبى أن تلين أمام جبروت الطغاة حتى ننتصر، ولا يسعنا هنا إلا أن نتذكر كل ما قيل من شعر تغنى به شعراء مصر، ولكن سنكتفي بذكر أبرز شعرائها الذين يدل شعرهم على ذلك الشعور العربي المتدفق، وعلى ما يكنه أبناء الكنانة للشعب الجزائري المناضل البطل من حب وإعجاب، وأخوة صادقة، ونجد ثاني هؤلاء الشعراء أيضا "أحمد هيكل" الذي يقول جميلة، وهي أخت لكل عربي قد أضاءت مشعل الحق أمام الثائرين، وطلع فجر الحرية من بين ظلمات سجنيها ودقت طبول النصر، وأرسلت من وراء القضبان إعصارا يدمر نفي البغاة، ويقضي على الظالمين العتاة:

أنت يا أخت شعلي قد أضاءت ليرى شعبك المجيد سبيله
من ظلام الجدران اطلعت فجرا لانتصار الأحرار دق طبوله
من جديب الأسى رفت ربيعا فيه للعرب ألف ألف جميلة
من وراء القضبان أرسلت إعصا را وأنت الأسام تسري عليلة[1].

وقضبان وسجان وقيد حديد، وأبواب قصر، وحو رهيب. ثم يصور جميلة الإنسانة الرقيقة التي ألقى بها في زنزانتها، فتكونت في ركن من أركانها، ولكنها لم تكن جزعة ولا فزعة، بل تكومت كالصاعقة التي توشك أن تنقض، وكاليد التي تحولت إلى قبضة، وهي تصغي لما يدور في الخارج وتحاول أن تتكهن بما يراودها فلا تصل إلى شيء، تسمع آهات ونواحا فتدرك أن ثمة شهيدا آخر يهيئون موته، فيجفوا النوم عينيها سهدا وألما:

(1)مجلة الجيش الوطني الشعبي، المرجع السابق، ص 53.

الليـل والقضـبان والجـدران والسـجان الحديـد والقيـد
وصـرير أبـواب ووقـع خطـى وإيـوان تـدّوي مـن بعيـد
وجميلـــــــــة عـــــــــذراء إنســـــــــانة
ألقـــــوا بهـــــا فـــــي الأرض زنزانـــــة

الـــرأس مـــنحن علـــى الصـــدر والصـــدر منـــتفض بـــلا ذعـــر
وتكومـــت فـــي الـــركن صـــاعقة مجموعـــة بالويـــل منقضـــة
كيـــف تلـــوت كفهـــا غصـــبا وتقوســـت فتحولـــت قبضـــة[1].

ويواصل في هذه الملحمة إلى أن يقول:

والصـــــوت يعصـــــف كالريـــــاح والهمـــــس ينـــــزف كـــــالجراح
والســـهر يزحـــف بالصـــباح إلـــى المســـاء وبالمســـاء إلـــى الصـــباح
وجميلـــــة عـــــذراء إنســـــانة ألقـــوا بهـــا فـــي الأرض زنزانـــة[2].

أمّا "محمد حليم غالي" يقول إنّ التاريخ شرف حين سجل بطولتها، ويتعجب أين ذهبت رجولة الفرنسيين حين عجزوا عن إيذاء الأبطال فراحوا يعذبون صبية عزلا، وأنها ليست كبغي السين ولكنها عربية أصيلة، ورمز لكفاح الشعوب وقضية الحق.

شـرف يـا أخـت للتـاريخ أن تفـدي ضـحية
صـفر النـذل عـن الأبطـال والـروح الأبيـة
فجثـا يقضـم كالمسـعور أشـلاء صـبية
إنهـا ليسـت بغـي السـين لكـن عربيـة
إنهـا رمـز شـعوب كفـاح وقضـية[3].

(1)مجلة الثقافة، العدد 70، السنة العاشرة، ص 35.
(2)المرجع نفسه، ص 38.
(3)المرجع نفسه، ص 20.

أمّا "حسن كامل الصيرفي" فيقول متعجبا من أبناء فرنسا الذين ثاروا يوما على سجن "الباستيل" رمز الظلم والجبروت فحطموه، والذين نادوا يوما بالحرية والإخاء والمساواة كيف يهدرون الدم الزكي البريء، ويستنكرون على الشعب الجزائري مبادئ ثورتهم، وما لاقوا في سبيلها من محن وكيف نسوا أنهم كانوا يوما مقهورين محتلين يكافحون في سبيل حريتهم.

يـــا نـــاقمين علـــى الباســـتيل ســـيرته الظلـــم عادلـــة فـــي الأرض أعقـــاب
حريـــة النـــاس غـــاب عـــن شـــعاركم يـــا مـــن ســـقاكم كـــؤوس الـــذل غـــلاب
شـــردتم فـــي بقـــاع الأرض آونـــة وشـــفكم مـــن جـــراح النفـــي أوصـــاب
حتـــى إذا محـــت الأيـــام شـــدتكم وعولجـت مـن جفـون الحـرب أعصـاب[1].

أمّا "أحمد عبد المعطي حجازي" فيقف مشدوها أمام هذا الجناح العربي للوطن العربي حيث الثورة تخوض حربا وتقدم القوافل تلوا القوافل من الشهداء فتبدو له درة المغرب وكأنها معين أبطال لا ينضب وتلوح له آمال المستقبل حينما تتخلص الجزائر من حربها ليكون شعبها وجيشها أول عائد إلى "يافا" لغسل العار وإعادة الحق المغتصب:

يامغرب!
من أين أتيت بكل ضحاياك؟!
هل أنت معين رجال لا ينضب
إنّ الدنيا كل الدنيا تعجب
من اين أتيت بكل ضحاياك؟؟
لك منا ملحمة كبرى
يا من ستكون إلى يافا أول عائد[2].

(1)مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص 90.
(2)أحمد عبد المعطي حجازي، الديوان، دار العودة، بيروت، ب.ط، 1973، ص 19.

وهذا وتبدو "لعبد المعطي" طلائع جيش الخلاص والحرية وقد أنجزت مهمتها في الجزائر وهاهي تتجه صوب المشرق لتعيد للأمة العربية عزتها وكرامتها في الحرية والوحدة من الخليج إلى المحيط.

يا خيالا ألقي من عاتقه ثلج الغمّة
يا نارا شبت في النجمة
يا خيالا عادت من غاب القيمة
يا صوتا دامت هجرته ألفا وثلاثمائة
وأظل يحدوها بالحرية
يا لقب الواحد من بغداد إلى الدار البيضاء بالأرض لأبناء الفقراء
لك منا ملحمة كبرى
يا من ستكون إلى يافا أول عائد[1].

ويصوّر "عبد الرحمن الخميسي" كيف فقد الغاصب المستعمر أعصابه، حين أعجزه الفدائيون والمحاربون البواسل في شعاب الجبال، وأخذ ينكل بالأبرياء في المدن والقرى، فيحكي قصة فتى من الريف طلبت إليه زوجته أن يشتري من المدن ثوبا جديدا لابنها الصغير ولعبة يلهي بها، وما كان أسعده وهو يلبي طلبها، وأخذ يسير رفي الطرقات إلى غايته يترنم بأغانيه البريئة ويحتضن اللعبة والثوب ليدخل الفرحة على قلب ولده، وإذا جنود العدو من مرتزقة وفرنسيين يأخذونه عنوة ويكبلونه بالحديد ويضربونه بالسياط ويلقونه في السجن، ثم يعد موته شنقا من غير ذنب جناه، وإنما هي شرعة الغاب وقانون الذئاب، إن عجزت عن معارك الأبطال لجأت إلى وسائل الأنذال، مات أبو القاسم وفجعت به زوجته "ليلى" وإنها الصغيرة ولكن بقي حيا في نقوس

(1)أحمد عبد المعطي حجازي، الديوان، ص 421.

الثائرين يناديهم بالانتقام وتحقيق النصر، ورفع القمة، وإزالة النقمة التي حلت عليهم، وطال بها الأمد. والخميسي يصور قصة أبي القاسم في شعره:

كـــان يشـــدو وهـــو يترجـــع أنغـــام صـــباه
ويـــرى زوجتـــه (ليلـــى) بأشـــواق هـــواه
طبيـــة العينـــين افريقيـــة لـــون اللهـــب
وعلـى أكتافهـا ليـل مـن الشـعر انسـكب[1].

ويصوّر سعادته وقد اشترى الثوب واللعبة لصغيرهما:

ومضـى يهفـو أبـو القاسـم فـي الـدرب البليـل
حالمـــا بـــالثوب واللعبـــة للطفـــل الجميـــل
وانتهـــى للســـوق واختـــار الـــذي كـــان يريـــد
لعبـــة فرحـــي وثوبـــا رســـموا فيـــه الـــورود[2].

ثمّ يصوّر بعد ذلك المأساة، مأساة أبي القاسم، وكل جزائري عاش أيام الثورة، وكان عرضه لبطش الجبناء:

عنـــد بـــاب الســـوق جـــاء المجرمـــون يقفـــون
نظـــرات تتلظـــى كـــالجنون فـــي العيـــون
وعلـــى هـــامتهم خـــوذاتهم جنـــد فرنســـا
وبأيـــديهم ســـلاح خـــائفين يـــرعش يأســـا[3].

(1) مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص 22.
(2)المرجع نفسه، ص 23.
(3)نفسه.

ثمّ يمضي في تصوير المأساة وكيف أعدم، ثم ينهي قصته بأنه وإن مات واستشهد إلا أنّ موته يبعث الأمل في النفوس ودمه الحر الزكي يروي شجرة الحرية، ويشد غصن المناضلين ويؤجج في الصدور نار الوتر، حتى يدكوا حصون الظلم وقلاع البغي والعدوان.

7- في سوريا:

لقد بان تأثر الشعراء السوريين بالثورة الجزائرية من خلال أشعارهم البطولية التي راحوا فيها يمجدون بطولة الجزائري فكانت الثورة الجزائرية محورا عاطفيا مشتركا في ظل الوشيجةالأساسية بين مجمل إبداعاتهم.

ولقد مثل هذا الموقف بحق الشاعر 'أنور العطار' الذي إنشاد في قصيدة عصماء له في الثورة الجزائرية بشهداء الثورة الجزائرية ثم ذكر أنها ليست ثورة الجزائر وحدها وإنما هي ثورة العرب جميعا، وإنها قامت لتثأر للعرب من فرنسا، وهو لا يفرق بين سوريا وبين الجزائر، فكلاهما وطن واحد وينادي المجاهدين بأنهم أصحابه لا يزال يترقب أخبارهم، ويخفق فؤاده بشتى الأحاسيس التي توحيها المعارك بينهم وبين أعدائهم وهي قصيدة طويلة نقطف منها قوله:

"ثـــــورة تعربيـــــة مـــــا تتـــــاهى فـــــار تنورهـــــا فهـــــال اشـــــتداده
هـــــزت الأرض هـــــزة فـــــإذا الحـــــق مبـــــــين لا يســـــــتباح مـــــــراده
وعـــرا الكـــون فرحـــة حـــين ســـالت بـــــــالروابي و بالـــــــذرى أجنـــــــاده
يـــا لشـــارات يعـــرب مـــن فرنســـا نغمـــــة الثـــــأر أن يعـــــم امتـــــداده
كـــــم تهـــــزأت بالعروبـــــة دهـــــرا فـــــإذا الهـــــزء قـــــد طـــــواك نطـــــاده
يـــا لثاراتنـــا فـــنحن بنـــور الثـــأر لـــــــــــدينا نشـــــــــــؤه وولادة "[1].

(1) مجلة الثقافة، العدد 70، السنة 10، ص 28.

وقد لمعت في سماد البطولة الجزائرية أسماء، منهم من قضى نخبه وهو يهدي فريضة الجهاد، ويروي بدمه شجرة الحرية، ومنهم من نجا من براثن الوحوش الإنسانية، وأن عذب ما شاءت القسوة أن يعذب، وصبر وما لانت له قناة، ولم يذع سرا أو يحني رأسا، وقد سجل التاريخ الجزائري بأحرف من نور اسم الشهيدات البطلات أمثال حسيبة بن بوعلي، وفضيلة سعدان، وجميلة بوحيرد التي قيلت فيها عشرات القصائد مشيدة ببطولتها، مصورة ما قاست من عذاب وآلام على أيدي الجلادين، ومن بين هؤلاء الشعراء نزار القباني الذي يقول في بطلتنا العظيمة في مقطوعة له من الشعر الحر.

" الاسم جميلة بوحيرد
اسم مكتوب باللهب
منقوش في حرج السحب
أجمل أغنية في المغرب
أطول نخلة
لمحتها واحات المغرب
أجمل طفلة
أتعبت الشمس ... ولم تتعب
يا ربي ...
هل تحت الكوكب
يوجد إنسان
يرضى أن يأكل ... أن يشرب
من لحم مجاهدة تصلب؟"[1].

فنزار قباني هنا يصور لنا وثبات جميلة في وجه الوحوش الأنذال الذين لا يتعففون من أكل لحوم البشر، ولقد برهنت بصبرها و كتمانها لسر رفاقها في الجهاد على قوة النفس الإنسانية العامرة

(1) نزار قباني، ديوان حبيبتي، دار الطبع بيروت، لبنان، 1964، ط2، ص 176.

بالإيمان على تحمل عذاب الجسد مهما تفنن فيهم العدو لما نجده قد رسم لنا لوحات أخرى استوحاها "نزار" من بطولة المرأة الجزائرية داخل السجون في زنزانات التعذيب، هذه المرأة التي لم تعرف لعب الصبايا ولا تبرح النساء في العالم العربي، لكن عرفت النضال من أجل لقمة العيش وكرامة الوطن فيقول:

" امرأة
من قسنطينة
لم تعرف شفتاها الزينة
لم تدخل حجرتها الأحلام
لم تلعب أبدا كالأطفال..."[1].

وهذا "عبد الوارت الصوفي" يصور مأساة جميلة بوحيرد هذه المرأة التي أصبحت أسطورة يتغنى بها الكثير من الشعراء، فشاعرنا ينظم في مدحها ما يأتي:

"الليـــــل والغربـــــان فـــــي بيتـــــي يـــــا أفعـــــوان الحقـــــد يـــــا صـــــمتي
يـــــا أفعـــــوان الحقـــــد يـــــا مقتـــــي تـــــأكلني مقتـــــل علـــــى مقتـــــي
لعابـــــك المـــــر تجرعتـــــه مغمســـــا بالـــــدمع والســـــهر
جميلـــــة خرســـــاء زنزانـــــة ومعصـــــم فـــــي بـــــارد القيـــــد
تغلغـــــل المســـــمار فـــــي كفهـــــا الليـــــل والغربـــــان فـــــي دربـــــي"[2].

وهذه المقطوعة هي رسالة من بين الرسائل التي قيلت على لسانها بعنوان " الحقد والفولاذ" فهي تعبر فيها كيف تظافر عليها ثقل الحديد والسجن البغيض، والمقت الذي يغلي في صدرها كراهية لأعدائها وأعداء بلادها.

(1)نزار قباني، ديوان حبيبتي، ص 34.
(2) المرجع نفسه، ص 34.

أما الشاعر "موسى العيسى" الذي خفق قلبه بصورة أخرى من كتاب السجن غير تلك التي رسمتها ريشة نزار أو عبد الوارث أو غيرهم أنه يخفق قلبه وهو يتحسس شفقة الإنسان الجزائري السجين، ولعلّ قلب الشاعر وحده لا يكفي قينظر حواليه ليجد أن قلب العروبة كلها مع هذا السجين الذي سجن من أجل حرية وطن، ومن أجل كرامة شعب وبلاد ومن أجل انطلاقة دين ولغة ومن أجل المحافظة على قيم شعب، لذلك فهو يقول :

" قلب العروبة كلها في سجنك الداجي معك
يا عارف بين الحديد من الرجولة موضعك
يا صامتا ... روعت من حشر اللظى ليروعك
يا نابضا في كل أفق ثائر، قلبي معك "[1].

ويقول أيضا:

" أبناؤنا فوق الجبال وفي السفوح الدامية ...
بطل يغير،وثائر يهويونار حامية
لم ينطفئ لهب الصمود ولا تغيرت الجزائر
بعد الرفاق ولقد عرفنا كيف تنتزع المصائر"[2].

ففي هذه المقطوعة الثانية نجده يخاطب السجين فيقول له "لا تحزن يا أخي السجين ولاتندم على مكانك من الكفاح، فان إخوانك أبناء النضال الخالد في السفوح، ما بين بطل يغدي خطاه نحو معركة حامية ومن شهيد أنهى رسالته وصعد إلى ربه يحدثه عما يجري في أرضه من تعسف وظلم وكذا من شهامة وبطولة، ولعله يسأل لماذا خلق الدنيا هكذا مزيجا من الخير والشر، خليطا من

(1) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 200.
(2) المصدر نفسه، ص 200.

الحق والباطل ومن الإيمان والكفر، من الصدق والخيانة، يردد قوله أيها السجين أن الجزائر كما عهدتها أو أكثر لم تتغير فهي تنتزع مصيرها[1]، انتزاعا بأرواح شهدائها وجراحات أبطالها.

ولا نستفيض أكثر من هذا الشاعر، لأننا سنتعرض له في الفصل الموالي بكثير من التحليل والتفصيل.

(1)نفسه، ص 202.

الفصل الثاني:

سليمان العيسى وعلاقته بالثورة الجزائرية

المبحث الأول: التعريف سليمان العيسى

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية في شعره للثورة الجزائرية

المبحث الثالث: الصورة الشعرية في شعر الثورة الجزائرية لسليمان العيسى

المبحث الرابع: الموسيقى في شعر سليمان العيسى

المبحث الأول: التعريف بسليمان العيسى

ولد الشاعر سليمان العيسى بقرية صغيرة "الشعيرية" في حارة تحمل اسم بساتين العاص عام 1921 في لواء الإسكندرية بسورية، دخل الكتاب وهو ابن السادسة أو السابعة حيث كان والده الشيخ أحمد أستاذ آنذاك، حفظ الشاعر القرآن الكريم عن ظهر قلب، وما أعانه على ذلك مساعدته لوالده في مذاكرة التلامذة. كما أتقن الخط و تعلم عمليات الحساب الأربع وحفظ الجزء الثاني من مبادئ العربية في الصرف والنحو للمعلم المرحوم "رشيد الشروقي" واستظهر عشرات القصائد من الشعر العربي قديمة وحديثة، من المعلقات إلى شعراء العصر العباسي إلى شوقي وحافظ وخليل مطران الرصافي والزهاوي وبدوي الجبل إضافة إلى هذا فقد كان سليمان العيسى شغوفا للمطالعة والقراءة، يقول سليمان "كنت أحب الشعر، وكيف لا أحبه وأبي شاعر ينظم قصائده و يكتبها بخط جميل ثم يغنيها مساءا[1].

بدأ كتابة الشعر في التاسعة أو العاشرة من عمره تحت أشجار التوت والتين وحلى ضفاف نهر العاصي، وكانت أولى قصائده تتحدث عن هموم الفلاحين وبؤسهم وكفاحهم في سبيل اللقمة، كان الشاعر الطفل يهتف ببرادة وهو دون العاشرة:

"ألا أيها الفقراء موتوا
لكم في جنة الفردوس قوت"[2]

دخل المدرسة الابتدائية في الصف الرابع، وأظهر موهبته الشعرية التي أدهشت الأساتذة والتلاميذ فلقبوه بالشاعر الصغير، انضم إلى نادي العروبة في مدينة أنطاكية، حيث كان يلقي

(1) عز الدين إسماعيل، قضايا الشعر العربي المعاصر، دار الكتاب للنشر، تونس 1988، دط، ص 265.
(2) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 260.

قصائده التي انتشرت في المدرسة وفي الشارع وفي المظاهرات الوطنية الصاخبة وهو ما يزال في السنة الخامسة والسادسة في المرحلة الابتدائية، لقد حمل معه بذور تجربته الشعرية من القرية وسرعان ما تحولت إلى تجربة نضالية قومية في شوارع أنطاكية وبين جماهيرها العربية الثائرة.

ترك الشاعر قريته الصغيرة وانتقل مع عشرات من رفاقه الطلاب إلى سورية وإلى مدن عربية ما تزال تقاتل وتناضل، حيث تحصيله الثانوي هناك. وبعدما أتم تعليمه العالي بدار المعلمين العالية ببغداد، ونال جائزة الآداب هناك ومن دواوينه التي أصدرها نذكر "مع الفجر" و"أعاصير في السلاسل" وهي المجموعة الثانية التي أصدرها "شاعر بين الجدران"، "الرمال عطش"، "ثائر من عقار"، " قصائد عربية " و"الدم والنجوم الخضر" و"صلاة لأرض الثورة" والتي يهديها إلى الشاعر الجزائري مالك حداد في سنة 1964، "رسائل مؤرقة" التي يكرسها الشاعر إلى الثورة الفلسطينية سنة 1960، وكذلك "أمواج بلا شاطئ" و"أزهار الضياع" ومن مسرحياته الشعرية، أغنيات صغيرة، كلمات الألم، ابن الأيهم الأبزار الجريح، عبد القادر الجزائري وإنسان مسرحية صغيرة[1].

توفي الشاعر في 09 أوت 2013 في ثان يوم عيد الفطر. ومن خلال أعماله الخالدة فإن الشاعر له روح نضالية قومية من خلال التزامه بقضايا أمنه وقومه فكان يدافع عن الواقع السياسي العربي مشيدا بالبطولات ولاذعا للظلم والحرمان وما تخلفه المأساة في الحياة العربية ومن هنا نشلهم تأثره الشديد والخاص بالثورة الجزائرية وعلاقته بها.

1-علاقة سليمان العيس بالثورة الجزائرية:

(1) سامي الكبلاني، الأدب العربي المعاصر في سوريا، دار المعارف بمصر، 1950، ط2، ص435.

لقد ساند الشاعر الثورة الجزائرية وتتبع أحداثها وبطولاتها وكافح بقلمه مشيدا ومعتزا بثورة المليون ونصف المليون شهيد التي عانت ويلات المستعمر الفرنسي الغاشم. فاهتزت وتيرة الشعوب العربية أجمع مما زاد حبه وإعجابه للثورة الجزائرية فأصبح صديقا لها وعاشقا لقوميته وكيف لا وهو القائل:

"هل هي بقعة من الأرض، تغسل قدميها بالبحر وتحمل على ظهرها المثقل بالتاريخ شموخ الجبال وروحة الصحراء؟"[1].

هل من تاريخ أفنى التاريخ، وأعطاه أمثولة التضحية، ودرس الكفاح أكرم وأنبل ما يكون العظماء؟

هل هي طاقات أمة أخمدت حتى اليأس ودمرت حتى ظن الخراب أنها انتهت ثم اشتعلت النار ذات يوم في المقبرة، وتمردت على الموت، وانتصبت حرة عزيزة تلم جراحها وتبني نفسها، ولكنها لا تحني رأسها، ولا تسلس للزمن الشرس قيادا؟[2].

ويواصل ويقول: "هل هي حلم غال ما يزال يراود أجفاننا كلما انتشيت قوى الشر العظمى مخالبها في الجسد العربي المنكوب الممزق المريض؟

هل هي حلم غال يضيء العتمات الكالحة، ويفتح أمام العيون المنطفئة نوافذ خضراء إلى المستقبل، نوافذ تستعصي على الليل والدمار؟

هل هي الثورة؟
هل هي الشعر؟
هل هي الحب؟ "[1].

(1) سامي الكبلاني، الأدب العربي المعاصر في سوريا، ص 435.
(2) سليمان العيسى، ديوان الجزائر، بوزريعة، الجزائر، 1993، د. ط، ص 13.

نعم ... كل هذا يتجسد في كلمة واحدة ما زالت تملأ دمي شجرا، وقيثارتي شعرا، كلمة واحدة أعطتني الشعر أملا على امتداد ثلاثين عاما من العمر، وما زالت تعطيني نبضة الشعر وعناء الأمل.

" وأعطيتها الحب والقربى من بعيد ....
وستبقى لي ...
وسأبقى لها الحب والقرب ما حييت
إنها الجزائر "[2].

إنّ صدق وإحساس سليمان العيسى ظهر في تلك العبارات التي تكلم فيها عن الجزائر في حيلته وفي شعره خصوصا في محاضرة ألقاها في قاعة الموقار بالجزائر العاصمة في 27 جوان 1982، واعتبر أن الملحمة العربية الإنسانية هي ملحمة الجزائر وأنه ليس شاعرا فحسب وإنما خلية تجري في جسد وجزء لا يتقطع منه وأنّ وطنه لا يتجزأ من الوطن الجزائر.

يقول شاعرنا: "أمد يدي إلى بقعة من خريطة جسدي، أمد يدي إلى الدرس الكبير إلى الثورة إلى الجزائر فأحس الجدران تنزاح قليلا عني ونعمة الأمل تعود إلى صدري"[3].

إنّ الروح القومية لدى الشاعر ازدادت وتزامنت باندلاع الثورة التحريرية فزاد في قلبه الثقة والإرادة وتعلقه وإيمانه بها، فكانت الثورة التحريرية المتنفس الوحيد والحقيقي للشاعر العربي المقاوم الذي خنقته النكسات العربية المتتالية.

(1) المصدر نفسه، ص 13.
(2)سليمان العيسى، ديوان الجزائر، ص 14.
(3) المصدر نفسه، ص 13.

يحكي سليمان العيسى أنه في منتصف فبراير من عام 1954، وبالضبط في سجن النظارة في دمشق، وبعد الإفراج عنه شأنه شأن رفاقه من الشباب، أن الدنيا العربية كلها تشتعل بأنباء الأوراس، أنباء الدنيا العربية كلها تشتعل بأبناء الأوراس، أبناء الثورة والثوار، فما كان لشاعرنا إلا أن يتصدى لإرهاصاتها الأولى فأقبل يدرس ويتأمل ولما أحس بأنها ثورة حق وحقيق، فطمأنت روحه إلى صدقها وافتخر بشجاعة أبنائها وإقدامهم وجدهم في التخطيط والتصميم وأنهم صامدون من أجل قضيتهم مدافعين عنها بدمائهم وأولادهم مهما كلفهم الأمر غاليا، فكانت تحيته الأولى للثورة الجزائرية تحت عنوان "ميلاد شعب" خلال يوليو 1955 وهي قصيدة مهداة إلى ثوار الجزائر... وقود الفجر العربي الجديد[1].

لقد آمن سليمان العيسى بالثورة الجزائرية وتنبأ بأن الشعب الجزائري شعب ثائر في وجه الاستعمار يقارع الدهر ويصارع الوجود ويتحدى الأيام لتندلع الثورة فيولد الشعب من جديد، فلنبارك للجزائر هذا الميلاد وملحمة ميلاد شعب تزيد أبيات قصيدتها على المائة.

التقى سليمان العيسى بمالك حداد أحد أدباء الجزائر وشعرائها المعاصرين الناطقين بالفرنسية، فحدثه عن المعجزة الجزائرية وعن دور الأدباء الشباب فيها، وكان إخوانه في دمشق يصغون إليه بكل جوارحهم، فقد حكى مالك عن آلام الجزائر وآمالها وثورتها المعجزة التي لم تكد تهدأ منذ وطئت أقدام الاستعمار البغيض هذه الأرض الطيبة منذ مائة وثلاثين عاما، حيث عملت فرنسا بكل ما أوتيت من قوة على أن تقتلع الجذور العربية من الأرض الجزائر، فشنت حربا على اللغة العربية وفرضت اللغة الفرنسية على الجزائريين[2].

(1)سليمان العيسى، ديوان الجزائر، ص 238.

(2) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثالث، ص 53.

لذلك كان مالك يتحدث بالفرنسية الأمر الذي دفعه ليعتذر من صديقه سليمان قائلا: "لا تلمني يا صديقي إذا لم يطربك نشيدي، لقد شاد لي الاستعمار أن أكمل الداكنة في لساني... أن أكون معقود اللّسان... لو كنت أعرف الغناء لتكلمت العربية"[1].

يهز ابن أنطاكية رأسه ويطرق في ألم عميق إنه يدرك المأساة، لقد عاش طرفا منها ويحسها بكل أبعادها، إن فر هو الآخر من منفى الجنسية التركية، لقد اجتاز الحدود وهو فتى صغير.

ومن هنا ينطلق سليمان العيسى فيكتب مجموعته الجديدة في خمسة عشر يوما لا غير، لقد مست كلمات الشاعر الجزائري صميم سليمان كما تمس الجمرة جرحا قديما فتثير أعماقه ومن هنا يكتب شعره عن الثورة الجزائرية إلى صديقه قائلا "لم أفتح الدفتر بعد تبييضه... وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت في التعبير عن خفقة واحدة من خفقات البطولة والحرية التي تضطرم بها جبال الجزائر الصامدة، وسهولها وأوديتها... إني أعرف أن الموضوع أكبر مني ومن أي شاعر ... فهل تقبل أرض المعجزة صلاتي... وعذري؟"[2].

كان هذا اللقاء بين مالك وسليمان دافعا قويا جعل شاعرنا العيسى ملتزما بالدفاع عن هذه الأرض الطيبة بسلاح الكلمة جنبا إلى جنب مع رفاقه حملة السلاح، لكي يعطوا للكرامة والحرية معناهما الأصيل.

2-موضوعات شعر الثورة عند سليمان العيسى:

لقد تنوعت موضوعات شعر الثورة، فتارة نجده يقدم اعتذار لعدم زيارته الجزائر الثائرة التي تسقي الصباح المشرق بالدم الفياض فيقول:

(1)سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثالث، ص 54.

(2) المصدر نفسه، ص 54.

لم أزرها هذه الأرض التي تسقي الصباحا
بدمي لم أفض كي يولد تاريخي السلاحا
لم أزرها أرض أجدادي التي هاجت رعودا
و التقت بالمجرم الباغي دخانا و حديدا[1].

وتارة أخرى يعبر عن إخلاصه وإعجابه بالجزائر، وتمنيه الصادق لو أنه يستطيع مساعدتها بأكثر من القول والإعجاب، وأكثر من التشجيع والتحريض على المواصلة لمد الثورة بالوقود، ودفعها بالذخيرة لتبقى نارا زاحفة و دمارا يجتاح المستهترين و يجتث أصولهم وحول هذا يقول:

" في عروقي أنت في آهاتنا في كل خاطر
يا دوي الصيحة الحمراء في قلب الجزائر
لا تعاتبني ... تمنيت لو أنني جرح ثائر
طلقة حمراء ، نحن في فم الثوار هادر
في الهضاب الشيم حيث الموت عرس و بشائر
توميض النار يملي نفحات الخلد شاعر"[2]

كما أنّ بعد الشاعر عن ساحة القتال، وعدم معاينته لما يحدث على أرض الجزائر من الجرائم والفضائح التي ارتكبتها فرنسا في حق الشعب، ولم ينهها ضمير حي ولا رعاية لقانون دولي، أو ذمة إنسانية، جعله يصفها وصفا واقعيا غير مبالغ فيه، بل هو دون الحقيقة، كما عاشها أبناء الوطن، لكن الشاعر تصورها وفق ما أملاه شعوره ومخيلته فيقول:

"لكأني أبصر الغاضب مسعور النيوب
ينشر الموت على شعبي في كل الدروب
جثث تنهال، أطفال على أشلاء شيب
أيها السفاح، ضاق العذر بالحرم الرهيب"[1].

(1)سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثالث، ص 361.
(2) المصدر نفسه، ص 361.

وراح الشاعر أيضا يتحدث عن مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة وانغماسها في أحداثها الملتهبة، موازرة لشقيقها الرجل، ودفاعا عن كرامتها وصيانة لمقدسات وطنها، فيتخيل شاعرنا هذه اللوحة العابرة في شريط الثورة الطويل فتكون كما ساقها في هذا القالب عن جميلة بوحيرد.

" وأنت يا أسطورة الصحراء، يا نداء
ما زال في قلوبنا يفجر الضياء
يا نجمة الصبح التي يتمت الصباح
منذ اختفت في ظلمة السجون
ومن السنون"[2]

ويقول أيضا عن البطلة جميلة أبو باشا:

"تباركت أرض البطولات التي لا تتعب
تلهث من ورائها الدروب و هي تضرب
قديسة جديدة في قبضة العذاب
يزهو بها لواؤك المركوز في السحاب
قديسة جديدة ... للسجن ، للذئاب"[3].

كما نجده أيضا قد تغنى بهذه الثورة العظيمة، فراح يمجدها ويحفل بانتصاراتها مفتخرا بأبنائها البواسل، وهذا كله تحت قصيدة عنوانها "**من ملحمة الجزائر**" وقد ألقت في مهرجان ضخم أقيم في حلب تأييدا للثورة الجزائرية:

روعـــة الجـــرح فوقهـــا يحمـــل اللفـــظ و يقـــوى عليـــه إعصـــار شـــاعر
أأغنـــــي هـــــديرها و الســـــموات صـــــلاة لجرحهـــــا و مجـــــامر

(1) نفسه، ص 297.
(2)سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثالث، ص 109.
(3) المصدر نفسه، ص 160.

أأنـــــــــــاجي ثوارهـــــــــــا و دوي النـــار أبيـــاتهم وعصـــف المخـــاطر[1].

وراح أيضا يصور لنا المعارك التي كانت تدوي في المدن الجزائرية والمقاومة التي أبداها سكان هذه المدن فنجده في قصيدة له بعنوان "الربيع البكر" أين يقول:

"بتراب –سطيف– معجونا بنزع الشهداء
بجلابيب الدماء
صبغت يومي، وأمسي، وغدي
عطشا يصرخ بالثارات... لا، لا تخمدي
وشحت أثار حتى الأبد
بالصراخ الأسود:
ها هنا مرت جريمة
فوق ما يخطر للكف الأنيسة
بتراب سطيف لا تشفق على أفياء زهرة
عطرت شباك سفاح"[2].

وشاعرنا قد وقف أيضا عند انطلاقة هذه الثورة المجيدة في تلك الليلة المباركة، التي تلقى فيها نبأ إعلان الثورة، ثورة الفاتح من نوفمبر، فالتهبت مشاعره في قصيدة تحت عنوان من بذكر الدمعة الحرى

" من بذكر الدمعة الحرى... وأتركها
تنساخ في الهدب
يوم انقضى في الجبال الشاهقات الشعب
بنادق الصيد، يوم الموت صار الدرب
ولعلعت قسما بالنازلات السود
بالماحقات... بدأناها... ومن أخدود"[1].

(1) عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، منشورات وزارة المجاهدين، د.ط، ج 2، ص 143.
(2)سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثالث، ص 156.

ومثلما وقف الشاعر عند اندلاع الثورة فانه شارك الجزائر فرجتها في الاستقلال في اليوم الخامس من جويلية 1962 ميلادي حيث كان جالسا إلى المذياع ويستمع إلى فرحة الجزائر ومظاهرات الجماهير وهتافاتها في عرسها العظيم فأهداها أنشودة لعرسها:

"ميلاد ينابيعي الثرة
ميلاد
جزائري
الحرة ...
نغم الثوار بأعصابي
يجتاح، يزغرد في بابي
موسيقى ... كم عطش الجبل
وتحرق للحن الأمل
موسيقى الفرحة مجنونة
وتموج سماء قسنطينة
وتحل غدائرها السودا ...
وألم الدمعة في هدبي
وأحس العالم في قلبي
نبضا يفتخر بالحب"[2].

لقد كانت فرحة الاستقلال عارمة في الجزائر فاستبشرت بالحرية والعيش الكريم وأصبحت قضيتها متداولة في كل دول العالم مؤمنين بها ومساندين لها فهنيئا للجزائر من فروجها من قبضة الاحتلال فكسرت كل القيود وحطمت التمثال الذي يرمز للاحتلال في مدينة الجزائر إثر استقلالها.

(1) المصدر نفسه، ص 236.

(2) عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، ص 196.

3-المعجم اللغوي:

ممّا لا يخفى أن اللغة من حيث هي أداة تعبير، فهي كائن حي له كيانه وخصائصه الفنية في أي زمان أو مكان ولا يغرب عن البال أن المشاعر دائما في تجدد وتطور ولذا كان لزاما على الشاعر أن يتحكم في أدواته الفنية ويستعملها حسب ما يقضيه التطور الحاصل في عصره، فالأديب هو الذي تتطور اللغة على يده.

وفي هذا الصدد نشير بأن اللغة هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني، يستخدم الكلمة للتعبير، وقد عرف الإنسان العالم أو حاول أن يعرفه لأول مرة يوم أن عرف اللغة، وهو لم يعرف الشعر إلا يوم أدرك قوة السحر، فالشعر هو الامتداد المستمر لتلك الفرضية الأولى، هو استكشاف دائم لعالم الكلمة و للوجود عن طريق الكلمة ومن ثم كان الشعر هو الوسيلة الوحيدة لغنى اللغة وغنى الحياة على السواء، والشعر الذي لا يحقق هذه الغاية الحيوية لا يمكن أن يسمى شعرا بحق[1].

إنّ قراءتنا لهذا القول يحيل إلينا ثلاثية اللغة والسحر والشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي في مجملها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن منه كلام الشعراء[2].

وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول أن اللغة الشعرية لا تنحصر على المعاني المعجمية فحسب وإنّما تكمن في قدرة الشاعر على التأثير على المتلقي ولا يحصل ذلك إلا بواسطة امتلاكه وتحكمه في أدواته الفنية.

(1) عز الدين إسماعيل، قضايا الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، ص173.
(2) عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، دار غريب للطباعة، القاهرة، دط، ص 11.

وفي هذا القبيل فالشاعر سليمان العيسى أحد هؤلاء الشعراء الذين وظفوا شعرهم في خدمة قضايا بالأمة العربية وقد وظف الفن في سبيل الموقف كأي شاعر عربي في التاريخ تميز بوقفة فكرية كافح عنها بإخلاصه ونبله[1].

وكان حلمه الوحيد وموقفه الثابت هو بعث الأمة العربية للحياة من جديد.

(1) نور الدين السيد، القضية الجزائرية عند بعض شعراء العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، د.ط، ص36.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية

يقول شاعرنا عن اللغة "لغتنا شجرة حجرة"[1] فقصده من ذلك أنها غنية بوسائل الاشتقاق، وهي تستقبل كل جديد وترحب بكل عربي، حتى صارت غنية بفضل التعريب.

فسليمان العيسى من الحريصين على قواعد اللغة إذ يقول: "هناك أسس يجب أن تحفظ وتصان كرفع الفاعل لأن الرفع وظيفة وليس عرضا طارئا، ونصب المفعول به، لأنه وظيفة أيضا... وإذا حظر لأحد منا أن يتجاوز هذه الوظائف فإنه يكون كمن يحمل سكينا ويمزق أوصال الجسد، وهو لا يفقه من الجزائر شيئا[2].

إنّ الشاعر المقدر في توظيف لغته وفق تجربته الشعرية وأن يعطيها دلالة وقوة وإثارة موظفا ألفظ ذات أبعاد فنية ونفسية وشعورية تنبع من وجدانه وصدقه وإحاطته بكل الجوانب اللغوية التي تخدم السياق وفق نسق متكامل ومنسجم.

1-الألفاظ:

لقد امتلك سليمان العيسى ذوقا لطيفا في اختيار اللقطة، فشاعرنا حاول أن يتجاوز باللغة حدودها القاموسية في بعض أشعاره، فقدم لنا شعرا ينبض بالحياة، ويعالج القضايا في حياتنا المعاصرة، من بينها القضية الجزائرية، يقول في قصيدته ملحمة الجزائر:

"روعة الجرح فوق ما يحمل اللفظ ويقوى عليه إعصار شاعر
أأغني هديرها، والسموات صلواتها تجرحها، ومجامر

(1) سليمان العيسى، مجموعة من الكتاب، ص 176.
(2) المصدر نفسه، ص 178.

أأنـــــــــاجي ثوارهـــــــــا و دوي النـــــار أبياتهـــا وعصـــف المخـــاطر
بـــين جنبـــي عبقـــة مـــن ثراهـــا ونـــــداء أنـــــي تلفـــــت صـــــاهر
مـــــا عســـــاني أقـــــول والشـــــاعر الرشـــاش، والمـــدافع الخطيـــب الهـــادر
والضـــــحايا الممزقـــــون، وشـــــعب صـــــامد كالإلـــــه يلـــــوي المقـــــادر"[1]

نلاحظ في هذه الأبيات جمالية اللغة المتمثلة في التناسق والبناء المعماري للقضية، بحيث نجد قدرة على النسج، ثم التناغم بين الألفاظ في حركات موسيقية جارعة تقم عن ذوق جمالي رفيع، اكتسبه الشاعر عن خبرة وتجربة حياته كلها كفاح ضد قوى الشر بجميع أشكالها.

فاختيار الألفاظ ليس هينا على شاعر متمرس الذي يقضي أيامه ولياليه يعالج القصائد وتعالجه، فألفاظه محققة للغرض، نجد مجموعة منها تتكرر في أشعاره الثورية، تمثل قاموس الألفاظ عنده مثل جرح، لوعة، ألم، ريح، النار، الثأر، إعصار، دم، صمت...، تضاف إلى ذلك أفعال مثل أناجي، أغني هي أقرب إلى نفسية سليمان العيسى تكاد تكون مشتركة في قصائده.

لقد وظف سليمان العيسى ألفاظه بوعي وإرادة فنية في جميع شعره الثوري حول الجزائر، وهذه الألفاظ تحمل دلالات عميقة عمق تجربته الشعرية، ومرتبطة ارتباطا وثيقا بموقفه ورؤيته الشعرية، يقول في قصيدته "الثورة وكسرى الخبز":

"أيها الضارب عبر الموت في ليلة الشقاء
منذرا جدرانه السود بهزات الغناء
قبضة تهوي ...
لست تدري كيف يحمي الشعب بالآلام أرضه
إنه سر الملايين المهازيل العطاش

(1) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 439.

نفروا من وهران الذل طوقان غواشي
نفرو ...
يستمرون البؤس والموت الخصيبا "

ويكمل قائلا:

" يلدون العيش خيطا نسج أيديهم قشيبا
يا صديقي ...
يا وميض البعث في الجفن الطعين المستفيق
اصفع اللص الذي هدم داري"[1]

فلفظة الليل عنده تعبر عن الألم والحزن واليأس والوحدة، وقد يكون رمز للشر والفناء أحيانا، فهي لفظة عميقة الدلالة فيها تصوير للمشاعر النفسية الثائرة للشاعر، فهو الشاعر الذي يؤلف ألفاظه في جو نفسي، ونعم حزين هادئ، وذلك نتاج تجربته الشعرية القوية، فكان معجمه ممتلئ بالكلمات الرصينة والمعبرة عن خلجاته.

أمّا كلمة اللص تدل على المستعمر مشبها إياه باللص الذي يسرق الأشياء التي ليست له، مخلفا وراءه دمارا وخرابا، وما لكلمة اللص من آثار سلبية وقد شبهه بألفاظ كثيرة وهذا ما نلاحظه في المقطوعة الموالية:

"يـــا قـــلاع الطغـــاة لقـــد نفـــض العمـــــلاق عصـــــور الضـــــباب
عظمـــت صـــيحة الفـــداء وعـــزت أن تـــواري فـــي دامـــس الظلمـــاء
هـــي فـــي غضـــبة الملابـــس تهـــوي فـــــوق جلاديهـــــا ســـــياط ازدراء"

ويكمل قائلا:

(1) عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، ص 158.

"وهـــم الجرمـــون لـــن يطفـــؤوا الشـــمس بإرهـــاب غيمـــة ســـوداء
تتحـــداهم الشـــحينة بالصـــمت رهيبـــا و البســـمة الزهـــراء
تتحـــداهم صـــخورك يـــا أوراس أن يوقفـــوا زئيـــر القضـــاء"[1].

استعمل الشاعر مصطلحات قد اختارها ووظفها في سياقه الشعري كانت قد أفادت موضوعه وقضيته التي يدافع عنها فكل من الكلمات طغاة، المجرمون، إرهاب، هي ألفاظ قوية تدل على فظاعة وقسوة المستعمر الغاشم، كما استعمل مصطلحات تدل على صمود الثورة في وجه المستعمر مثل صخورك يا أوراس، الشحينة بالصمت، زئير القضاء.

2-الأسلوب في شعر العيسى:

يتسم أسلوب العيسى بألفاظ جزلة وتراكيب قوية وواضحة، وجمل محكمة البناء، فبناء الكلام عنده محكم متماسك، وفي جملة ترابط وتلاحم بين الألفاظ، ويتجلى ذلك في قصر الجملة عنده بحيث تقدم مضمونا دون التواء لأن من صفات الجزالة الوضوح في غير ركاكة والعمق في غير إبهام[2].

فالجزالة بمفهوم أبي الهلال العسكري هو الذي تعرفه العامة[3]، وفهم العامة من الكلام الجزل ناتج عن وضوحه، وعدم استعماله ناتج عن عمقه، يقول سليمان العيسى:

"يا نافضا يديه من غدائر الجيل
عرائسا للحب، للحياة، للغزل
يا ملقيا محراثه للعتيق في العراك
لتنتهي على يديه قصة الشقاء"[1].

(1) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 444.
(2) عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972، د ط، ص 152.
(3) المرجع نفسه، ص 152.

كما نجد في شعره الثوري ذكر لأسماء الأماكن الثورية، من جبال ومدن وقرى، وأسماء الثوار والشهداء، وليس بغريب في شعر ثوري عدم ذكرها فقد استعملها الشاعر كرمز تاريخي مثل جبال الأوراس التي تكررت كثيرا في شعره كقوله:

"أيها الساقون في الأوراس ساحات الكفاح
بدمائكم أورق الفجر على حد السلاح"[2].

ونجده أيضا يقول في قصيدة بعنوان "السنديان على الأوراس":

"حملت أجنحة الأطفال ملء يدي
وجدت أبحث يا أوراس عن جسدي
تقاسمتني الرياح السود فانتزعي
شرارتي، و هبيني جمرة لغدي
جزائر الدم ... ردي لي صدى نسبي"[3].

وفيما يخص بعض أسماء المدن نجد قسنطينة، سطيف، وهران، وإن دل هذا على شيء فإنّما يدلّ على تعلق الشاعر بهذه الأرض وجماهيرها الثورية، والغوص في أعماقها، وللتعبير عنها بواقعية وأكثر دقة من ذلك ذكره لبلدة جزائرية في منطقة قسنطينة تسمى "غلمة" أي قالمة والتي تعرضت لمجزرة بشعة من مذابح الاستعمار في 8 ماي 1945 فيقول:

"وتفتح الطفل الشرير على الضياع
كان لطمة
ألقته في مهوى سحيق
ما كان قد سمع اسم غلمة

(1) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 106.
(2) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية، ج1، ص 293.
(3) المصدر نفسه، ص 293.

ما كان يعرف يا صديقي أن مذبحة وهمية
في العتقة الأخرى من الصحراء تجتث العروبة"[1].

ويقول في قصيدة بعنوان "إلى أطفال الجزائر":

" وغرغرة المجاهد خلف صخر في قسنطينة
على الأوراس في وهران في القصبة
تشرف كل ما قلنا وما سنقول ...
نحن السادة الكتبة "[2].

فالأسلوب الذي استعمله الشاعر يتراوح بين الخبري والإنشائي فالأول من أجل تصوير عظمة الثورة وتمجيد بطولاتها هذا من جهة ومن جهة أخرى يظهر لنا شراسة المستعمر ودناءته في تعذيب أبناء الجزائر وسلبهم ممتلكاتهم وحريتهم وكرامتهم فهاهو الشاعر يسرد لصغيره الذي طلب من أبيه أن يروي له قصة استعمار الجزائر، فيقول:

"وذات يوم لألأت في شطنا الكروم
وشقت البتر العناقيد
وبعثرت غابات برتقالنا النجوم
فالآفاق ألحان ... ونوريد
وماج في الواد الكبير الظل و الشجر
و زغرد القمر "[3]

قوله أيضا:

" و أ..... جزائري بالقمح والثمر

(1)سليمان العيسى، الأعمال الشعرية، ج3، ص 177.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص 143.
(3) نفسه، ص 143.

وذات يوم يا صغيري جاءنا غريب
أجهده التعب
وهذه الشعب
من خلف هذا البحر من مجاهل المغيب"[1].

فالأسلوب الذي استعمله في هذه القصيدة السالفة الذكر خبري، الغرض سرد أحداث وأسباب احتلال الجزائر.

أمّا الإنشائي فكان الغرض منه تهديد ووعيد المستعمر وذلك مساندة لإخوانه المجاهدين في الجبال بالكلمة القوية المجلجلة وهذا ما لمسناه في قصيدته المطولة "من ملحمة الجزائر" حينما وظف التراكيب التالية: بإقلاع الطغاة، اقتلعي، يا أوراس، يا جزائر، يا ساحة المجد، فالأساليب تنوعت بين النداء والأمل، فكان الغرض منها بث الرعب والخوف في وجه المستعمر وتعظيم الثورة وبعث الشجاعة والحماس في نفوس الأبطال.

(1)سليمان العيسى، الأعمال الشعرية، ج2، ص 143.

المبحث الثالث: الصورة الشعرية في شعر الثورة عند سليمان العيسى

1-مفهوم الصورة:

إنّ مصطلح الصورة الشعرية لم يكن متداولا بين العرب القدامى وإن كان الشعر العربي القديم لم يخلو من التصوير، إلا أنّ النقد العربي كان يتناول الصورة في مجالات بلاغية كالمجاز والتشبيه والاستعارة، أما الصورة بصفتها مصطلحا نقديا فهي ترجمة للفظة الفرنسية دخلت النقد العربي في العصر الحديث، ويعرّفها عز الدين إسماعيل بأنّها تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الواقع[1].

فكونها تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة لا جدال فيها، أما انتماؤها إلى عالم الواقع فلأن الواقع الحسي فيها ليس إلا وسيلة للتعبير عن الفكرة أو الشعور من جهة، ومن جهة أخرى فلأنّ الواقع الحسي ذلك الواقع لا يحتفظ بمواصفاته كما هي، بل يتشكل من قبل الشاعر بناءا على شعورها.

ترى "إليزابت دور" أن الاستعارة تكون أكثر عمقا حين تلتئم مع الصورة الحس الفكرة أو العاطفة، والحق أنّ التئام الفكرة أو العاطفة بالصورة الحسية ليس ما يعمق الصورة الشعرية فحسب بل من شروطها الأساسية، فكون طرفي الصورة كليهما من الأفكار يخرجها في مجال التصوير إلى التقرير والمباشرة، والصورة ليست حلة يعمد إليها الشاعر لتحسين كلامه، بل هي المخرج الوحيد لشيء لا ينال بغيرها[2].

(1) يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة تحليلية، الجزائر، د.ط، ص 318.
(2) المرجع نفسه، ص 318.

ويتحدّد إبداع الصورة بمدى نجاحها في بلورة الفكرة أو الشعور، وينبغي أن نركز على جانبين اثنين هما في دراسة الصورة عند سليمان العيسى، الجانب المادي أو المعنوي والجانب النفسي، فليس مهما أن تعبّر الصورة عن المعنى أو الفكرة التي يريد الشاعر إيصالها إلى الآخرين فحسب، بل هناك وظيفة أخرى لا تقل أهمية عن التعبير عن نفس الشاعر وشعوره الخاص الذي يعيشه إبان تشكيلة الصورة، لأنه مهما يكن الموضوع الذي يتناوله الشاعر بالتصوير، فلامتصاص من أن يتلون بلون نفسية الشاعر، وذلك ما يعبر عنه بالصدق في التعبير[1].

فالصورة الشعرية عند سليمان العيسى هي حشد من الصورة السهلة التي أملتها عليه تجربته، من ذلك قوله:

"فـــوق شـــعري وفـــوق معجـــزة الألحـــان هـــذا الـــذي تخـــط الجزائـــر
يـــا بـــلادي يـــا قصـــة الألـــم الجبـــار لـــــم يحـــــن رأســـــه لمجـــــازر"[2].

يحاول الشاعر أن يعطينا صورة عن ثورة الجزائر، ولكنه ينبهر أو يفاجأ بعدم جدوى الشعر والألحان أمام جلل الثورة، وما يخوضه الثوار من معارك ويدرك الشاعر ما يعانيه الثوار من عذاب وألم، ولكنهم صامدون مصممون على النصر، فسليمان لا يستخدم الصور المنفرة أو المؤذية، يقول عنها حسام الخطيب "أنها صور هائمة سابحة تستصيغها النفس، وذلك لحسن اختيار الألفاظ وتوظيفها، فالألفاظ في حد ذاتها تفتق الصور في الشعر"[3].

ولكي تتعمق أكثر يجب أن نورد نموذجا من إحدى قصائد سليمان العيسى التي جسدت بحق ذلك الحشد من الصور، وهي قصيدة جميلة بوحيرد رمز من تاريخ الجزائر الثوري، حيث يقول:

(1) يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 319.
(2) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 109.
(3) يحيى الشيخ صالح، المرجع السابق، ص 119.

"لم يزل يبحث عن نجمة الصباح
لتشرق النجوم
وتورق الكروم
ويضحك الزئبق ملء السهل والآفاح
منارة خضراء
أنشودة عذراء
تشير من خلف الحديد الصفيق
فيخشع الأسس ويصغي الحاضر"[1].

إنّ الشاعر سليمان العيسى يشيد بالبطلة بوحيرد ويناجيها بقصة يلقيها التاريخ والنضال، وهذا ما جعل الألحان والخواطر تمحى، والجزائر تقف تماما كالقلعة التي لا يهزها شيء، حتى الرياح والأعاصير، وتبقى جميلة نجمة الصباح تهدي الظلام حيث كان، إنّها بحق صور رائعة استطاعت أن تعبّر عن شعور الشاعر وتبيّن حالته النفسية وتزداد الصورة عمقا و جمالا عندما يربط الشاعر جهاد البطلة ونظيراتها تصنع النصر في الفجر القريب فنجده يشدو قائلا:

"في رحلة الفجر القريب، في القيد العظيم
يصنعه الأحرار
سيحمل الثوار
على يدهم صبحنا المنظر الوسيم
وفي جبين الأفق
من نجمة عائدة كالحب كالربيع
تصافح الجميع
وتشهد الأعراس ... أعراس القيد العظيم"[2].

(1) عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، ص 191.
(2) المرجع نفسه، ص 192.

إذن جميلة ستصنع الفجر القريب الذي تهديه للثوار ذي يحملوه، وصيحة بين أيديهم، تتلألأ الدنيا من أجلها في الأفق، وتعود النجمة المسجونة بكل حب تماما كفصل الربيع حيث يستقبله الجميع بالبشائر وتقام على إثره الأعراس، عرس الجزائر بعد طول عذاب ومرارة سنتين سجنا من ذهب في سجل التاريخ.

أمّا إذا عدنا إلى حالته النفسية من خلال هذه الصورة فهي حالة الرضى والغبطة تهتف مكسب عظيم، وشعوره كان شعور الزهور، شعور يشم رائحة هذا الانتصار تحملها النسائم من أجواء بعيدة، فالشاعر يشتم الانتصار ولا يتلمسه، لأنّ هذا الانتصارلا يكمن في الواقعة المأساوية المعيشية بقدر ما يكمن في النتائج البعيدة لهذه الأحداث. أحداث المقاومة والاستشهاد، لكنها نتائج حتمية على أي حال، ومن هنا ظهرت الصورة في ألفاظ جلها مشرفة مفرحة (نجمة، تشرق، يضحك، منارة، أنشودة، تحدي، العظيم، الفجر، الأفق، الحبّ، الربيع، الأعراس) وهذا باستثناء لفظة الظلام الذي اعتمده الشاعر ضوءا خافتا يشير إلى الوضع في الجزائر الذي يبرز الحقيقة بوضوح.

إنّ المقاومة التي تحملها الصورة المتقدمة بين وظيفتها الدلالية والنفسية من وقع الحدث الذي هو الجهاد في سبيل الله من قبل البطلة جميلة إلى جانب أخواتها الثوار، الذي تكلفت بنقله إلينا الصورة في جانبها الدلالي ما يبعث على الفرح وفي نفس الوقت تبعث الخزن والتشاؤم من عدم النصر بالنظر إلى الإمكانات المتواصلة، ومن هذا المنطلق يصبح الاستشهاد في سبيل الثورة شيئا يبهج النفس، ويثلج الصدر، إذ أن كل ضحية هي خطوة نحو إلمام في تحقيق النصر، أو فاصلة في جسر تفصل بين الاحتلال والثوار وبين الضفة المقابلة له للاستقلال والحرية.

على هذا المنوال نسج سليمان العيسى صورته ليخرجها في أبهى حلة، حيث تتداخل الصور وتتشابك وتتجانس حتى لا نكاد نستكشف نوعها إلا إذا دققنا وأمعنا النظر، والثاني من جهة أخرى في الجزائر وساحات القتال بوجه خاص وحرقة البعد وطلب الوصل هو ما جعله يحسن السبك والديباجة، ويجب أن نشير هنا إلى أنّ بعد سليمان العيسى لا يستشف ولا يظهر في قصائده عن الثورة، لأنّه كان في الفترة نفسها قد عايش الاستعمار الفرنسي ضد بلده سوريا، الأمر الذي جعله يسقط المشهد نفسه على الجزائر بلده الثاني.

ولكي تكون دراستنا أكثر عمقا، يجب أن نورد نماذج أخرى من شعر سليمان، وحتى نستشف الصور الواردة عنه، ومن أجل ذلك نجده يقول في قصيدة له بعنوان "أمنت بالأوراس" :

" يا شاعر السفر البعيد يمد سفر بعيد
يا من تساقطت التخوم على خطاه والحدود
يا عابر الأسطورة الكبرى التي حيث الخلود
وهجا جديدا
وسنا فريدا
وقصيدة خضراء ، لم يحلم بها قيتار شاعر
يا معطي الإنسان ما لم يعطه
يا ابن الجزائر"[1].

وفي هذه الصورة تتداخل التشبيهات، وتتشابك مع بعضها فتشكل لنا هذه اللوحة الفنية المتجانسة الألوان والأشكال، وهذا وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عبقرية فذة، تنمو عن تشخيص رائع وبيان نسج، وخيال بديع وقعته ريشة فنان عظيم، انبثق موضوعها من أرض الشهداء كما هو معلوم، وأسقط على إحدى أماكنها المقدسة التي اشتعلت فيها غرة نوفمبر العظيمة، وكانت

(1) عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، ص 183.

سببا في تحرير جزائر المجد ، جزائر الخلود، إنّه الأوراس الشامخ التلبد الذي ألهب الحماس في نفس سليمان العيسى وأفاض شاعريته التي جاءت بهذا التصوير البليغ البديع الذي جعله يؤمن به ويجسده مرة في صورة شاعر السفر البعيد، ومرة أخرى عابر الأساطير الكبرى إلى حيث الخلود، ومرة إلى ذلك النور المتوهج وذلك العمر الفريد، بل وأكثر من ذلك ،فتلك المقطوعة السيمفونية التي لن يحلم أكبر الموسيقيين بتلحينها، ويصل إلى وصفه بأنه مانح الإنسان ومعطيه كل ما يطمح ويسعى إليه وهو في الأخير ابن البلد العظيم الجزائر وهنا درجة الأبيات التي اتصف بها سليمان العيسى فتركته يسبك وينسج من أعماق شعوره ونفسه، وهو أقصى نجاح لهذه الصورة التي تشع بإيحاء كبير من حيث الوظيفة وترسم ظلالا للمعنى مما جعلها تحقق كثيرا من متطلبات الصورة الشعرية في نظرية الشعر الحديث، وإنما من حيث الشكل لا تختلف كثيرا عن صور القدامى، فأغلبها تشبيهات بليغة واستعارات تتم في السطر الواحد أو فيما بينها وتبقى متجاوبة متجانسة لتشكل نوعا من الوحدة الشعورية.

ويبدو أن السبب الكامل من وراء ذلك هو شكل القصيدة عند شاعرنا، فالتزامه تقنيات الشعر الحرّفرض على صوره أن تعتمد الإيجاز والاختصار والتلميح الذكي في بعض الحيان لتبدو كما نلحظها طويلة النفس، تشكل جزءا لا يتجزأ عن المقطوعة، وهذه قمة التشخيص الحي والإبداع الباهر الذي يسمح به شعر التفعيلة وحرية الشاعر في التصرف.

2-الموسيقى في شعر الثورة الجزائرية عند سليمان العيسى

أ-مفهوم الموسيقى:

يرى إبراهيم أنيس «إنّ للشعر نواحي عدة للجمال، لكن أسرعها إلى نفوسها ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام في توالي المقاطع، وتردد بعضها بقدر معين، وكل هذا ما نسميه بموسيقى الشعر»[1].

وترى إليزابت دور في كتابها "الشعر كيف نفهمه ونتذوقه" أن الفارق الأساسي بين الشعر والنثر هو الموسيقى، وأن سبيلنا إلى التمييز بينهما هو الأذن، ذلك أن الشعر يمتلأ بزخرفة موسيقية تدركها الأذن قبل أن يدرك الفكر ما فيه من معان"[2].

هذا أنّ القولان النموذجان للأصوات التي ارتفعت في ساحة النقد الحديث العربي والغربي على حد سواء مهيمنة بالجانب الموسيقي للشعر ومركزة على بروزه بشكل واضح يجعله في مقدمة ما يمنح القول صفة الشعرية. دون أن يتوافر هذان الشرطان وهما الموسيقى والصورة، فالكلام الذي لا يعتمد التصوير التقرير والمباشرة مع توافر الموسيقى فيه ليس إلا نظما، والذي يعتمد التصوير الشعري الخيالي دون الموسيقى فيه ليس إلا نثرا فنيا، لأنّالإيقاع والصورة يجريان سويا في حلبة الشعر[3].

ب-مفهوم الوزن:

وهو الوزن الناتج عن تتبع تفعيلات معينة تتكرر في كل بيت دون تغيير كما في الشعر التقليدي، أو تتكرر بعدد معين من الأبيات كما في الموشحات، ويتصف هذا النوع من الموسيقى الشعرية بأنه ثابت لا يتغير، فهو محدد بما يسمى بحور الشعر دون أن يكون للموضوع المطروق أو لحالات الشاعر النفسية أي دخل فيه ممكن في الجانب الكمي فحسب أي بذلك أن الموسيقى

(1) يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 293.
(2) المرجع نفسه، ص 293.
(3) نفسه، ص 294.

عبارة عن وحدات يتغير عددها قلة وكثرة دون أن يتغير نوعها أو دربتها، وهذا النوع من الموسيقى يسمى في اصطلاح النقد الحديث بالموسيقى الخارجية[1].

ويجدر بنا أن نفصل بين الإيقاع والوزن، بحيث أن الأول يقصد به "وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو البيت أو في توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقرات الكلام أو البيت أو في أبيات القصيدة، وقد يتوافر الإيقاع في النقد مثلا على ما سماه القدامى "التصريع" وقد يبلغ الإيقاع في النثر درجة يقرب بها كل القرب من الشعر، أما الإيقاع في الشعر فتمثله التفعيلة في البحر العربي، وأما الوزن فهو مجموع التفعيلات التي يتألق منها البيت، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية[2].

فالإيقاع مأخوذ من وقع اللحن وهو موسيقى ناتجة عن وسائل متعددة أهمها تكرار كلمات معينة أو متشابهة أو حرف أو حروف معينة متحدة المخرج أو متقاربة أو ذات جرس موسيقى موحد، وهذا النوع من الإيقاع هو الموسيقى الداخلية للقصيدة العربية وهذه الموسيقى الداخلية لا تتحدد عن طريق بحور معينة متعارف عليها عند الشعراء وإنّما عن طريق موضوع القصيدة وحالة الشاعر النفسية.

ومن هنا نقول أنّ الصياغة الموسيقية تعد عنصرا أساسيا من عناصر التفرقة بين عناصر الكلام المنظوم والكلام المنثور وذلك كون الشعر هو كلام موزون مقفى[3].

(1)يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص 294.
(2) غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 2007، ص ص 435 – 436.
(3) مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ص 424.

وإضافة إلى ذلك فإنّ الموسيقى الشعرية تبعث فينا ميلا غريزيا في كل كلمة من عدة مقاطع تشبه الفقرات القصار أو العبارات الصغيرة فتسمح في عشر من الثواني ما يكاد يبلغ خمسين من مقطعا صوتيا، ثم تسمعها الأذن كتلا من المقاطع تطول أو تقصر، فإذا ترددت في أواخر هذه الكتل الصوتية مقاطع بعينها شعرنا بسهولة ترديدها أو أحسسنا بغبطة وسرور حين سماعها وبعث هذا فينا الرضا والاطمئنان إليها[1].

وهذا القول يحيلنا إلى أنّ الموسيقى ليست شكلا فقط يتمثل في البحر والقافية والروي، إذ هي تجاوزت الزخرفة الخارجية لتكون أيضا مثل اللفظة والصورة أقدر على الإيحاء وأقدر على التعبير بما يتوافر من عواطف في ذات الشاعر وهذا أقوى سبب يجعل الشعر يلج قلوب سامعيه دون استئذان.

ومن خلال كل هذا يجب أن نذكر أنّ وظيفة الموسيقى هي إعداد المستمع نفسيا لولوج عالم القصيدة مما يساعده على تحليلها وتفهمها فكريا وعلى معايشة الشاعر شعوريا فيها.

إنّ شعر سليمان العيسى نظرا إلى انه شعر خليلي لم يتعد حدود البحور المائة عشرة، وإذا تعداها في محاولاته التجديدية القليلة فإلى بحر أو بحور أخرى يلتزمها في كامل القصيدة مما لا يحدث عنده فرقا من الناحية الموسيقية بين قصائده الخليلية ومحاولاته التجديدية في مجال الوزن،ونظرا لكل ذلك يتوافر شعر سليمان العيسى على كلا النوعين من موسيقى الشعر الخارجية والداخلية.

(1) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1981، ط3، ص 11.

وقد اعتمد سليمان العيسى في شعر الثورة الجزائرية من حيث الموسيقى على بحور معينة في الأغلب، نظم عليها جل شعره الثوري، ومن البحور مثلا البسيط، الكامل، الخفيف، الرمل، مع فارق ملحوظ طبعا في نسبها، بحيث نجد البسيط قد احتل أكبر نسبة في التوارد في شعره تقدر ب 55.55% ثم الرمل بنسبة 29%والكامل بنسبة 7.4% والخفيف بدرجة أقل بنسبة 3.7%مع الطويل*.

ولا جرم أن يحتل البسيط حصة الأسد في شعر سليمان نظرا لانسياب تفعيلاته: مستفعل، فاعلن، مستفعل، فاعلن، ولو أنها تأتي مجزوؤه في بعض قصائده الحرة و كذا لأن بحر البسيط أكثر ملائمة لمثل هذا الشعر الثوري الحماسي الملتهب.

أما بالنسبة للقافية فإن حرف الراء يحتل أكثر نسبة في شعره و يليه حرف الباء والتاء والنون والميم واللام بنسبة واحدة تقريبا، ثم يأتي حرف الهاء ولو أنه يفوق الحروف السابقة الذكر ليس في هذا ما يلفت الانتباه لأنه متواجد عند أغلب الشعراء وإن لها ما يفسرها، فهي من الناحية النفسية تتناسب مع مضامين التأوه والتحسر، وعدم الرضي، وكل القصائد التي وردت فيها الهاء رويا عند شاعرنا تتناول مواضيع لا تبعث على الرضي والاطمئنان بصورة عامة ففي صلاة لأرض الثورة الواقعة في المجلد الثاني من الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر، ورد حرف الهاء رويا للقصائد التالية: الجذور الصامدة، طليعة الأمل، تتابع المطر، الثورة وكسرى الخبز، و نورد بعض المقطوعات في قصائده تلك كقوله في طفولة شاعر :

" ورضينا أننا الجيل الضحية

*النسب عملية إحصائية من ديوان صلاة لأرض الثورة على أساس عدد القصائد لا الأبيات.

إننا الجيل الضحية"[1].

ويقول أيضا في قصيدته المنفى المرير:

"في لهاة النسر غضة
في حنايا البلبل المطعون قصة
أنا أدري أي مأساة رهيبة
غردت لحنك عني، فهو أمات حصيبة"[2].

أمّا حرف الراء فقد غلب أيضا على شعر سليمان العيسى وبخاصة الشعر الثوري الجزائري وقد اعتمده شاعرنا للدلالة والقوة والافتخار والتعظيم من جهة، ومن جهة أخرى للدلالة على الشدة ووقع الثورة في نفس الشاعر وقوة تأثيرها على السامع ومن بين القصائد التي حوت حرف الراء رويا قصيدة صلاة لأرض الثورة، المنفى المرير، الجذور الصامدة، الربيع البكر، صانعو الأغاني، سأكذب عنك، الورد، رصيف بردي، جميلة بوحيرد، يوسف زيغود، آمنت بالأوراس إضافة إلى ملحمته الثائرة ملحمة الجزائر الواقعة في الجزء الأول من أعماله الشعرية و هذا مقطع من روائعه حيث يقول:

"ويقذف الأثير لي بقية الخبر
للنار "بوباشا" جزاء الصمت للشرر
للمسات السلك ... حتى يشهق الحجر
للموت ... إن ضلت تحدي الموت والقدر
يا للصمود ... فوق ما تعود الظفر"[3].

(1) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثاني، ص 71.
(2) المصدر نفسه، ص 81.
(3) المصدر نفسه، ص 160.

أما قصيدته "صانعي الأغاني" يجهر سليمان العيسى بالقول دائما في صلاة لأرض الثورة:

"لعلمنا الوعر كان الزورق الخطر
فنثر شراعك ... لا هم ولا ضجر
حمراء تلمع في حافاتها الإبر
لن يشتري كبرنا عطر ولا زهر"[1].

هذا وقد تنوعت القوافي في شعر سليمان فلم يأتي على حرف واحد مكرر في كامل القصيدة، بل راوح فيها حيث نجده مثلا في قصيدته الجزائر المهددة ينتقل من الميم إلى الهاء، فالهمزة إلى الراء واللام والضاد والنون، فالدال فالياء فالألف فالميم مرة أخرى ثم الدال فالحاء والواو في آخر القصيدة ولا بأس أن نستشف ذلك جيدا من خلال الاستشهاد. يقول شاعرنا:

"أخشى على بلد الضياء الدامي
يا عرس بغدادي، وعطر شامي
أخشى على الفجر العظيم
الليل يغفر فاه ... مخلبه وسيم
أنيابه بالشهد غشاها
بمزور للنور أحفاها
بيد تدق النصل في عنق الضحية "[2].

ويواصل قائلا:

" وتصب فوق النعش لوعتها
مدامعها السخية
أخشى على الفجر العظيم
الليل حول الأطلس الجبار

(1)سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثاني، ص 72.
(2)المصدر نفسه، ص 235.

مخلبه وسيم
يرنو إلى الصحراء "[1].

ويواصل:

" يلعقها بأحلام الضواري
وأكاد ألمح ما يسيل
بشدقه خلف البحار...
صحرا وكالعذراء تحمل سر آلام المخاض"[2].

ومن حيث الموسيقى الداخلية، نتطرق إلى تناول نماذج مختلفة من شعر سليمان العيسى لتتبين جليا دورها في شعره.

فقصيدة زيغود يوسف قالها الشاعر إثر وفاة هذا البطل الجزائري الملقب بين رفاقه بسيد أحمد وأمام هذا الحدث، حدث استشهاد البطل، يقف شاعرنا هذه الوقفة التمجيدية والتحسرية على خسارة قطب من أقطاب الثورة، فتصور الجو المشحون بالأسى إثر انطفاء هذه الشعلة التي كانت موقدة منذ انطلاقة الثورة، فمن أهم ما يتصف به الشاعر الأصيل رهافة الإحساس ورقة الشعور وامتلاك النظر البعيد، فلا تقف دونه أحداث الساعة مهما تكن جسيمة فالغد المشرق آت لا ريب فيه رغم تنكيل وتقتيل فرنسا، ولكن من جهة أخرى قضاء فرنسا على الأمل في صدر الشاعر وذلك ما كان له أسوأ الوقع في نفسه ولم يستطع تحمله ففاضت شاعريته بقصيدة شبه باكية، عبرت أحسن تعبير عن طريق موسيقاها الحزينة الثقيلة التي تجعل السامع يعيش المشكلة ويتأملها بفكره.

(1)سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثاني، ص 235.
(2) المصدر نفسه، ص 235.

وقد مهّد الشاعر لموسيقاه تلك بتلك الصورة الرومانسية الهادئة التي بدا عليها مطلع القصيدة، حيث بدا في صورة إنسان مفجوع، هاله ما ألم بالبطل وكذا الجو المشحون في نهاية المعركة فنجده يقول:

" صمت على الوادي يروع الوادي
وسحابة من لوعة وحداد
أرسي على الهضاب ريش نسورها
وتمزقت من بعد طول جلاد
هذا الوميض... فلا أنين شظية
يصمي، ولا تكبيرة استشهاد"[1].

ما يثير انتباهنا في هذا المقطع هو كثرة حروف الهمس المتمثلة في تكرار السين والتاء عشر مرات والهاء أربع مرات والشين ثلاث مرات، الصاد مرتين والحاء مرتين، هذا وإن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الصمت المخيم على القصيدة من جهة أخرى وعلى التأثير البليغ لهذا الحدث في نفس الشاعر من جهة أخرى أما قافية المقطع فجاءت متتابعة دالية فصل بين كل بيتين هاء وتاء مجرورة كذلك الدال المكسورة في القافية دليل على انكسار نفسية الشاعر وحسرتها.

ويواصل العيسى قصيدته فيقول:

"الحفنة المتشبثون بحفنة
ضؤلت وهانت من لضى وعتاد
ألقوا بوجه الموت آخر صفحة
وتساقطوا تحت الجحيم العادي
النار تأخذهم ... فسرب رائح
من باصقات ردى ، و سرب غاد

(1) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 121.

وكتيبة تنشال إثر كتيبة
كثرت هنالك كتائب الجلاد"[1].

في هذا المقطع نلاحظ أن حدة الحزن والتأثر قد خفت نوعا ما، فالشاعر قد أفرغ بعض شحنة شعوره باليأس في المقطع الأول، فتحول الأمر لديه من الصمت الجارف والحداد والأسى إلى الانفجار، فصار يتحدث عن المعركة وهولها، وعن قوة الأسلحة لدى الفرنسيين وتطورها في مواجهة بساطة المجاهدين البواسل، فالكتائب والمدافع تحولت إلى جحيم لا يثير خوفا ولا يشكل خطرا في ساحة الفداء للمجاهدين الجزائريين الذين وصفهم بالحفنة المتشبثون بالحفنة، وقد ناسبت الشاعر القافية المتتالية من دال في مقطعين وتاء فاصلة، فأبقى عليها في هذا المقطع كذلك، لكن الملاحظ أنه استغنى عن حروف الهمس خلافا للمقطع الأول، بل اعتمد على الحروف المجهورة التي بدت أكثر تناسبا مع موسيقى هذه الأسطر الشعرية واحتل العين حظا أوفر منها.

ويواصل الشاعر في مقطوعته الموالية لهجة القوة والانفجار التي بدأها في المقطع الثاني، وذلك لتلاءم سرده لقوة هذه المعركة ووصف أسلحة المستعمر فيقول:

" حشد الألوان ... يكاد يفتقد الحصى
والريح ثوار ... وجرح الوادي
حشد الألوان ... لقاء سيد أحمد
رعب يشل النبض في الأكباد "[2].

ويواصل فيقول:

" رعب يستمر بالمدرعة الخطى

(1) سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 113.
(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فما دافع السفاح كالأوتاد
وتجن من حذف، فتمطر موتها
حينا بلا هدف، بغير رشاد
وتلعلع النيران ... كل حنية
لهب إلى دمنا لهيف صار"[1].

وتتضاعف في هذا المقطع إذن حدة الانفجار والشدة والقوة لدى سليمان العيسى وهذا ليواصل سرده لقصة هذه المعركة الملتهبة التي حيرت الفرنسيين، وبث الرعب فيهم لدرجة وقف فيها نبض أكبادهم وتسمرت مدرعاتهم وتصلبت مدافعهم كالأوتاد وهذا كله مرره إلى بسالة "سيد أحمد" ورفاقه من المجاهدين، وقوة التصوير هذه صقلت موسيقى هذه القصيدة حيث وصلت بها إلى أعلى قمة زادتها حروف الانفجار والجهر، جرسا مناسبا.

وبعد هذا يرهق الشاعر ويدندن صوته بالصراخ، فيميل نحو الخفوت والفتور شيئا فشيئا، فتهدأ حدة موسيقاه مرة أخرى حتى تصل إلى السكون والهدوء، فتستلزم مرة أخرى حروف الهمس التي غلبت عليها والقافية الأولى التي رافقتها وهي تلاؤم أيضا صورة المقطوعة التي أنشدها سليمان العيسى في آخر قصيدته:

" صمت على الوادي، كما جثم الردى
فوق المقابر جللت سواد
"الحفنة" المتشبثون بصخرة
تلقى الجحيم بأصبع وزناد
صمتوا ... فما تسري "سيد أحمد"[2].

(1)سليمان العيسى، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثاني ، ص 113
(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

نلاحظ إذن هذه الصورة المؤثرة الحزينة التي تنجم عن موت البطل، بل استشهاده في ساحة الوغى ببسالة إلى جانب حفنة من رفاقه الذين صمدوا أمام جحيم فرنسا وعاد السواد إلى أعالي الجبل مخيما، وجثم الردى أمام صمت الوادي، كل هذا عبر عنه سليمان العيسى أصدق تعبير وكأنّه عاش الحادثة، فلم يجد بدا من استعمال هذه الموسيقى المتنوعة، تنوع مقاطع القصيدة، وبالتالي عبرت عن نفسية الشاعر وشعوره وربما أبلغ مما عبرت عنه أو جسدته الصور الشعرية والأفكار ورسمت له وبالتالي منظرا تعايشنا معه.

هذا إذن نموذج يجسد الموسيقى الداخلية والخارجية في شعر الثورة الجزائرية عند سليمان العيسى في قصيدته "زيغود يوسف" من ديوانه "صلاة لأرض الثورة".

خاتمة

خاتمة:

إنّ قوة الثورة الجزائرية كانت فوق كل التصورات فكل حدث وكل حركة وكل يوم وكل شهر وكل سنة تمثل موضوعا من الإبداع الأدبي وتكون صبغة بتلوين لوحة شهرية مؤثرة تهز المشاعر وتحرك النفوس وتدمي القلوب وتسيل الدموع.

فقد توصلنا في هذا البحث إلى جملة من النتائج تمثلت في:

- الجزائر البطلة كانت وما زالت وستبقى محط آمال العرب المخلصين ودرعا للعروبة وملاذا للقضايا العادلة.

- إنّ تمجيد الثورة الجزائرية والتغني ببطولاتها وأمجادها من قبل شعراء المغرب والمشرق على مختلف مشاربهم، كان منصبا على أهم الأحداث التي عرفتها الثورة.

- إنّ شعر الثورة كان مواكبا منذ البداية لمنطق الثورة ومختلف وقائعها وأحداثها وهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على اهتمام الشعراء بهذه الثورة ومساندتها والوقوف إلى جانب الثوار بسلاح الكلمة.

- تعدد موضوعات الثورة الجزائرية: التغني بالحرية، تمجيد الثورة، وصف بطولات الثوار وذكر أسماء الشهداء والمعارك، تخليد غرة نوفمبر 54، تصوير وحشية المستعمر في السجون والمعتقلات.

- سليمان العيسى شاعر ملتزم بقضايا أمته محبا للعروبة منذ طفولته.

- إنّ سليمان العيسى شاعر من هؤلاء العباقرة الذين يدركون الإحساس الصادم ومدى اللوعة الشديدة وأصالة الشعور الجارف الذي يحتاج الوجدان ثم يوقفون في اختيار الكلمة وحبك

الصياغة وسبك الجملة وإخراج الموضوع في الإطار الفني حتى يغدو الشعر شعرا، فيكون النمط الشعري من هذا المستوى العالي تصوير وبلاغة تعبير وتدفق أسلوب وسلامة روي وقافية في كل شعر الثورة الجزائرية.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1. ابن فارس، مقاييس اللغة، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، المجلد الثالث، 2000.
3. أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، دار تلانتقيت للنشر، بجاية، الجزائر.
4. العيسى سليمان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
5. العيسى سليمان، ديوان الجزائر، دار الشورى، بيروت، لبنان، د ط، 1980.

المراجع:

6. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1981.
7. إسماعيل عز الدين، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر، د ط، القاهرة.
8. إسماعيل عز الدين، الشعر في إطار العصر الثوري، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1985.
9. بري حواس، شعر مفدي زكريا، دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، بني عكنون، د ط، الجزائر.
10. بيطام مصطفى، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1998.

11. سعدي عثمان، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، دط، د ت.

12. السيد نور الدين، القضية الجزائرية عند بعض شعراء العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986.

13. عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر،د ط، د ت.

14. عزام محمد، قضية الالتزام في الشعر العربي، من العصر الجاهلي حتى عصر الانحطاط، دار طالس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، د ت.

15. غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، مصر، د ط، 2007.

16. فاعور ياسين أحمد، الثورة في شعر محمود درويش، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د ط.

17. مصايف محمد، النقد الأدبي في المغرب العربي، من أوائل العشرينات إلى أوائل السبعينات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984.

18. نازك الملائكة، ديوان شظايا ورماد، مج2، دار العودة، ط2، بيروت، 1979.

19. يحيى الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، د ط.

المجلات:

20. مجلة الأصالة، عن إصدار وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد الخامس، السنة الأولى شوال 1392هـ، نوفمبر 1971م.

21. مجلة الثقافة، إصدار وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، ط10 العدد60، ذو الحجة 1400هـ – 1401هـ، ديسمبر 1980.

الفهـــــرس

الفهرس

كلمة شكر .....

إهداء .....

مقدمة.....أ–ب

الفصل الأول:

الثورة والالتزام

المبحث الأول: الشعر والالتزام 04

1– مفهوم الثورة..... 04

2–مفهوم الالتزام 05

المبحث الثاني: الشعر والالتزام 07

1–الالتزام في العصر الحديث 07

2–الالتزام في العصر القديم 14

المبحث الثالث: أثر الثورة الجزائرية عند أهم شعراء العرب 16

1–في الجزائر..... 16

2–في تونس 20

3–في المغرب 24

4–في ليبيا..... 26

5–في العراق 30

6–مصر..... 34

7–في سوريا 40

الفصل الثاني:

سليمان العيسى وعلاقته بالثورة الجزائرية

المبحث الأول: التعريف بسليمان العيسى 45

1–علاقة سليمان العيس بالثورة الجزائرية 46

2–موضوعات شعر الثورة عند سليمان العيسى 50

3–المعجم اللغوي 55

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية 57

1–الألفاظ..... 57

2–الأسلوب في شعر العيسى 60

المبحث الثالث: الصورة الشعرية في شعر الثورة عند سليمان العيسى 64

1–مفهوم الصورة..... 64

2–الموسيقى في شعر الثورة الجزائرية عند سليمان العيسى 70

الخاتمة 82

قائمة المصادر والمراجع 85

الفهرس 88